آراء المبرد النحوية
في ميزان أبي علي الفارسي
" باب المنصوبات نموذجاً "

إعداد الباحثة

هويدا بنت حسين عبد الرحمن أبو الخيور

كلية اللغة العربية ـ بجامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية.

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثاني (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

آراء المبرد النحوية في ميزان أبي علي الفارسي

" باب المنصوبات نموذجاً "

هويدا بنت حسين عبد الرحمن أبو الخيور

قسم اللغة العربية ـ كلية اللغة العربية ـ بجامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : amoo_2@hotmail.com

الملخص

يعنى هذا البحث بإلقاء الضوء على جهود نحوية في تراثَنا العربي اللُّغوي الذي يزخر بآثار نفيسة، وقد أدرك قيمتها الدارسون فعكفوا عليها دراسة وبحثاً يستجلون دقائقها، ويكشفون عن غوامضها. وفي مقدمة تلك النفائس كتاب سيبويه الذي لا تقوم لدراسة النحو والصرف قائمة دون الرجوع إليه.

هذا وقد تطورت الدراسة النحوية في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي الفارسي تطوراً كبيراً، وقد عمل على هذا التطور تلك المناظرات التي كان يعقدها سيف الدولة الحمداني بين كبار النحويين، فضلاً عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات مختلفة(١)، وكان الفارسي (ت: ٣٧٧هـ) علماً من أعلام النحو في عصر اتسم بذلك النشاط العلمي، إذ تخرج في حلقاته علماء أفاضل، وتعلم منه الكثيرون، فكان بحق حامل راية الإعراب ولواء الصرف بلا منازع، فها هو ذا يقول عن السيرافي: "تعلم مني، وأخذ عني هو وغيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم".، وقد لاحظت أن الفارسي كثير النقل عن علماء معروفين كسيبويه، والأخفش،

(١) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة للدكتور عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق/ بيروت ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (٨١).

والمبرد، والزجاج وغيرهم، ووجدته إزاء آراء هؤلاء العلماء لا يقف عند حدّ النقل، ولا يدع الأمور تمر عليه دون تأمل ومناقشة، وكثيراً ما وجدته ينقل آراء المبرد، ففي كتابه التعليقة على كتاب سيبويه نقل عن المبرد في (١٥٦) موضعاً، وفي كتاب الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني نقل عنه (٦١) موضعاً، وفي المسائل البصريات (٣٥) موضعاً، وفي الحلبيات (٢٥) موضعاً، وفي كتاب الشعر (٧) مواضع، وقد لاحظت أنَّ الفارسي في نقله لآراء المبرد على أنحاء مختلفة:

فهو أحياناً يثق فيما ينقله عن المبرد، فيستأنس بكلامه، ويروي الشعر على روايته، ويوثق رواية الألفاظ بما يسوقه من كلام المبرد، وأحياناً يفسر كلام سيبويه بكلام المبرد، ويدعم فكرة سيبويه بنص المبرد فيها، وأحياناً يسوق رأي المبرد، ويدعم كلامه ومذهبه، ويستحسن ما رآه في المسألة.

الكلمات المفتاحية : آراء المبرد ، ميزان الفارسي ، باب المنصوبات .

Al-Mubarrad's grammatical opinions in the balance of Abi Ali Al-Farsi

'Bab al-Mansiob as a Model'

Howayda bint Hussein Abdul Rahman Abu Al-Khiwar
Department of Arabic Language, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: amoo_2@hotmail.com

Abstract

This research is about highlighting grammatical efforts in our Arab linguistic heritage, which is full of precious effects, which the scholars realized the value of, and they studied and researched them to explore their minutes, and reveal their obligations.

The grammatical study in the 4th century AH by Abu Ali al-Farsi developed greatly, and this development was carried out by the debates held by Saif al-Dawla al-Hamdani among the leading grammarians, as well as the discussions and discussions that took place between the grammarians on various occasions, and the Persian (t: 377 [(1)]Ah) was a flag of grammar in an era characterized by that scientific activity, where he graduated in his episodes distinguished scholars, and learned from him many, and was rightly the bearer of the banner of expression and the banner of exchange Undisputedly, he says about Serafi: "Learn from me, and he and others who are looking at something of this science are taking away from me today." I have noticed that farsi is much quoted from well-known scholars such as Kasboe, Al-Akfsh, Al-Mbard, Glass and others, and I found it in the opinions of these scholars does not stop at the limit of transportation, and does not

(1) The Grammar School in Egypt and the Levant in the 7th and 8th centuries of immigration by Dr. Abdel–Al Salem Makram, Dar al–Shorouk/Beirut, Cairo, first edition, 1400 Ah/ 1980 (81).

let things pass on without reflection and discussion, and I often found it conveying the opinions of the radiator, in his commentary on the book Sibuyeh quoted The radiator in (156) positions, in the book of omission in the meanings overlooked by the glass quoted (61) positions, in optics issues (35) positions, in milks (25) positions, and in the book of poetry (7) Positions, I have noticed that the Persian in its transfer to the views of the radiator on different parts:

Sometimes he trusts what he conveys about the radiator, he forgets his words, narrates poetry on his novel, documents the novel of words with the words of the radiator, sometimes explains the words of Sibweh with the words of the radiator, supports the idea of Sibweh in the text of the radiator, sometimes markets the opinion of the radiator, supports his words and doctrine, and improves what he saw in the matter.

Keywords: Views of Al-Mubarrad, Mizan Al-Farsi, Bab Al-Mansob .

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه وسار على سنته إلى يوم الدين . وبعد:

فما زالت عربيتنا سخية معطاءة، ومازال معينها ثرًّا جوادًا، تحوي في جوانبها الكثير من الفوائد، وتنطوي صفحاتها على العديد من المسائل التي مازالت بكرًا، وإذا يمَّم الباحث وجهه صوب الدراسات النحوية رأى الكم الهائل من المؤلفات التي تفوق الحصر، المطوّل منها والمختصر، والعلمي منها والتعليمي، المنظوم منها والمنثور، وأدرك أنَّ تراثَنا العربي اللُّغوي يزخر بآثار نفيسة، أدرك قيمتها الدارسون فعكفوا عليها دراسة وبحثاً يستجلون دقائقها، ويكشفون عن غوامضها. وفي مقدمة تلك النفائس كتاب سيبويه الذي لا تقوم لدراسة النحو والصرف قائمة دون الرجوع إليه.

هذا وقد تطورت الدراسة النحوية في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي الفارسي تطوراً كبيراً، وقد عمل على هذا التطور تلك المناظرات التي كان يعقدها سيف الدولة الحمداني بين كبار النحويين، فضلاً عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات مختلفة[1]، وكان الفارسي (ت: ٣٧٧) علماً من أعلام النحو في عصر اتسم بذلك النشاط العلمي، إذ تخرج في حلقاته علماء أفاضل، وتعلم منه الكثيرون، فكان بحق حامل راية الإعراب ولواء الصرف بلا

(١) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة للدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق/ بيروت ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (٨١).

منازع، فها هو ذا يقول عن السيرافي: "تعلم مني، وأخذ عني هو وغيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم"[١] .

ولم يقتصر أثر علم الفارسي على معاصريه بل تعداهم إلى كثير من العلماء الذين تتلمذوا على كتبه، وأخذوا عنه آراءه، فابن هشام يتتبع أقوال أبي علي ويذكرها في كتبه[٢]، أما عبد القادر البغدادي فقد نقل عن الفارسي نصوصاً كاملة في الخزانة، وهو يشير إلى هذا النقل فيقول أحياناً في آخر نقله: "انتهى كلام أبي علي، وسُقناه برمته لنفاسته" [٣]. وقد نقل عنه أيضاً في كتابه (شرح أبيات المغني) في مواضع كثيرة [٤]، فكان بذلك من أكثر أهل العلم انتفاعاً بكتب الفارسي.

ودأبت كتب النحو التي أُلِّفت بعد عصر أبي علي على ذكر اسمه وآرائه لأنَّ النحاة أفادوا كثيراً من علمه، وهذا ما فعله ابن يعيش، وابن عصفور، وابن مالك وأبو حيان وابن هشام والسيوطي وآخرون. وكان نشاط أبي علي في إجراء الإعراب ووجوه التخريجات مدداً سخياً لكل المعربين الذين جاؤوا بعده، فقد قيل عن تأثر ابن الشجري بالفارسي: "إنه موصول النسب النحوي بأبي علي، ويبدو إجلاله له واحتفاله بمصنفاته في هذا الحشد الهائل من النقول التي حكاها عنه وملأ بها كتبه، ثم في تصديه لشرحه، ورده كتبَه بعضَها إلى

---

(١) ينظر المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي، تقديم وتحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم/ دمشق، ودار المنارة/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م (١٥٩).

(٢) ينظر فهرست الأعلام من كتاب المغني (٩٨٥).

(٣) خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البَغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي/القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م (٣٦٣/٣).

(٤) ينظر على سبيل المثال (١٤٩/٣) و (٩٠/٥) من شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البَغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث/ دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

بعض..... وفي أنَّ قدراً كبيراً من الآراءِ التي ساقَها ابنُ الشجري غير معزوة إنَّما ترجع إلى مصنفات أبي علي"(١).

وقد عشت أوقاتاً مع مؤلفات الفارسي التي تنوَّعت مشاربها وتباينت طرائق عرضها، فوجدته كثير النقل عن علماء معروفين كسيبويه، والأخفش، والمبرد، والزجاج وغيرهم، ووجدته إزاء آراء هؤلاء العلماء لا يقف عند حدّ النقل، ولا يدع الأمور تمر عليه دون تأمل ومناقشة، وكثيراً ما وجدته ينقل آراء المبرد، ففي كتابه التعليقة على كتاب سيبويه نقل عن المبرد في (١٥٦) موضعاً، وفي كتاب الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني نقل عنه (٦١) موضعاً، وفي المسائل البصريات (٣٥) موضعاً، وفي الحلبيات (٢٥) موضعاً، وفي كتاب الشعر (٧) مواضع، وقد لاحظت أنَّ الفارسي في نقله لآراء المبرد على أنحاء مختلفة:

فهو أحياناً يثق فيما ينقله عن المبرد، فيستأنس بكلامه، ويروي الشعر على روايته، ويوثق رواية الألفاظ بما يسوقه من كلام المبرد، وأحياناً يفسر كلام سيبويه بكلام المبرد، ويدعم فكرة سيبويه بنص المبرد فيها، وأحياناً يسوق رأي المبرد، ويدعم كلامه ومذهبه، ويستحسن ما رآه في المسألة.

ورأيته في أحيان كثيرة يقف عند اعتراضات المبرد على كلام سيبويه، وخصوصاً في كتاب (الغلط)، وهو كتاب عرض فيه المبرد مسائل الغلط التي خطّأ فيها سيبويه، والأخفشَ، وغيرَهما من النحويين، فكان الفارسي ينقل عن المبرد هذا، ويشير إلى الكتاب نفسه، فتارة يسلّم له بما استدركه ويوافقه عليه، ويصحح ما ذهب إليه، وفي تارات كثيرة يقف عند تخطئة المبرد، فيردّ عليه ما

(١) ينظر : ابن الشجري و آراؤه النحوية، لمحمود محمد الطناحي (١٠٨).

قاله، ويناقشه فيما ذهب إليه، ويدافع عن سيبويه فيما زعمه المبرد، وينفي صحة ما فهمه من الكلام، داعماً ما يقوله بالأدلة والبراهين، ومؤيداً كلامه بالأصول النحوية من سماع أو قياس أو إجماع أو غيرها، وقد جمعت من هذه المسائل الكثير، فوجدت الفارسي يعترض على كثير من آراء المبرد، ويخالفه فيما رآه ويبرهن على ذلك من خلال حوارات علمية لا يبغي من ورائها إلَّا الحق والإنصاف، حتى خلف لنا الفارسي رصيداً آخر من مكنون علمه وثاقب فكره.

وهذا مِمَّا دعاني للوقوف على اعتراضات الفارسي على المبرد في كتبه ومسائله، وعلى ما ساقه من حوارات ومناقشات في هذا، إذ ظهر لي بوضوح أنَّ الفارسي صاحب فكر صائب، وعبارة سديدة، ينظِّم عرضه، ويقدِّم له بطريقة منطقية، فيرجِّح من آراءِ المبرد ما يراهُ راجحًا، ويسوقها بكلِّ دقة وحيادية، فما استقام منها أيَّده وعلَّل له، وصرَّح بترجيحِه وقوته، وما ضعُف منها أشار إلى علَّةِ ضعفه وبيَّن ما يُقال فيه من اعتراضات، كل ذلك من خلال عقلية متوازنة، وبصيرة واعية، وثقافة مطلعة واسعة الانتشار، ثم هو يقف منه موقف العالم البصير، ويعرض رأيه بكل شفافية، يردُّه إذا كان ضعيفًا، ويقوِّيه وينصفه إذا كان قويّاً، وهو في كل ذلك يحاول أنْ يعتمد على الأصولِ النحوية من سماعٍ وقياسٍ وإجماعٍ واستصحاب حال.

-أهمية الدراسة:

-إنَّ أبَا العباس المبرد – فيما أرى – هو أول من تجرأ على كتاب سيبويه في (الغلط) الذي تعقَّب فيه سيبويه في كثير من المسائل، ولم يجرؤ أحد على مثل هذا قبله، إلى أنْ جاءَ ابنُ ولَّاد (ت:٣٣٢هـ)، ودافع عن سيبويه وانتصر له، وقد أفاد الفارسي كثيراً مِمَّا ذكره ابنُ ولَّاد، فأردت أنْ أوضِّح هذا الجانب من خلال الدراسة.

- إنَّ الفارسيَّ واحدٌ من العلماء الذين ضربوا في علومٍ شتى وتصدروا فيها، كعلم الأصول، والقراءات، واللُّغة، وفوق هذا هو بحرٌ مقصودٌ في النحو ومسائله، ويكفي ما قاله فيه صاحب مسالك الأبصار: "رجل خط ببراعة، وحط الصبح عن قناعه، وكف الدهر عن قراعة، وسعت إليه الزمر، وسعد لديه بالثمر، وجاءته الوفود، وتزاحمت لديه على الورود، وصدرت عنه الركائب، وقد أودعت حقائبها طيبا، وحقائقها ما كان لسقام الأفهام طبيبا، وكان على هذا لا يسلم من لسان حاسد، وثالب حاشد، وثباته على هذا عجب، وإثباته في أهل الفضل قد وجب"(١).

- إنَّ كتبَ الفارسي على تنوعها تعد موسوعة نحوية شاملة ومفيدة، حاوية مقاصد النحو ومسائله، لم يخرج إلى النور أكثرها إلَّا في عهدٍ قريب، وهي محط نظر الباحثين، ومقصدهم فيما أشكل من مسائل، فحاولت أنْ أستخلص منها موقفه من آراء المبرد ليكون تحت الدراسة والمناقشة.

- إنَّنا مازلنا ننظر في كتبِ النحويين المتأخرين آراء منسوبة للفارسي لم نرها في كتبه المطبوعة، بل مازالت أذهان الباحثين ترنو إلى كتاب (التذكرة) للفارسي الذي ينص أكثر المؤلفين على أنَّهُ مفقود، وذلك لما في آثار الفارسي وآرائه وحواراته من أهمية بالغة في الدرس النحوي، وما هذا الطرح هنا إلَّا لبنة في صرحِ حوارات الفارسي، يفيد منه طالبوه.

- إنَّ الفارسي ليس له موقف واضح ومعروف من المبرد، فتارةً يتبنى رأيه، ويرجح ما ذهب إليه، ويرد رأي من يخالفه، بل يقوي رأي سيبويه بما قاله المبرد، وتارةً يعارضه ويرد ما ذهب إليه، وهذا كله في حاجة إلى مناقشة علمية هادفة لبيان الأقوى.

---

(١) ينظر مسالك الإبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (٣٠١/٢).

-أهداف الدراسة:

-حصر آراء المبرد التي عارضها الفارسي في المسائل النحوية، وذلك في كتب الفارسي، وتحقيقها من خلال ما طُبع من كتبه، أو المنقول عنه .

-عرض أدلة المبرد التي أوردها الفارسي، ومقارنتها بما هو ثابت في كتب المبرد وكتب النحو الأخرى.

-بيان موقف الفارسي من رأي المبرد، واستنتاج مصادره في ذلك وأدلته، وعلاقة هذا بمذهب سيبويه، ومناقشته.

-بيان موقف المبرد والفارسي من الأصول النحوية: السماع، والقياس، والإجماع، واستصحاب الحال.

-استظهار موقف الفارسي من آراء المبرد، ومدى تأثير هذا على الدرس النحوي ومقاصده.

-بيان مواطن الإجمال التي تعمدها الفارسي في نقده لما ذهب إليه المبرد، وتفصيلها، ومحاولة استخلاص علة الفارسي في هذا الإجمال والاكتفاء فيه بالإشارة.

-مقابلة ما نقله الفارسي عن المبرد من اعتراضات على سيبويه في كتابه (الغلط) بما هو معروف من مذهب المبرد في كتبه، وما هو منقول عنه لدى العلماء.

-محاولة استكشاف مصادر الفارسي في اعتراضاته على المبرد، ومدى تأثره بغيره أو استقلاله برأيه وبروز شخصيته في ذلك.

- **التساؤلات البحثية**:

١- كيف عرض الفارسي رأي المبرد في المسائل النحوية، وما مدى اهتمامه بذلك؟

٢- ما موقف الفارسي من آراء المبرد، وما مصادره في نسبتها وفي عرض أدلته؟

٣- ما صور وطرائق الفارسي في التعامل مع آراء المبرد، ومتى يكون معاضداً له، وهل له في ذلك نزعة خاصة؟

٤- ما أثر الفارسي على آراء المبرد، وماذا أضاف موقف الفارسي إلى آراء المبرد التي بين أيدينا؟

٥- هل اختلفت آراء المبرد التي نقلها الفارسي عما هو معروف عنه في كتبه وعند النحويين؟

٦- ما دوافع الفارسي في معارضة المبرد، وهل هو متابع لأحد العلماء السابقين في هذا، وماذا أضاف الفارسي إلى الدرس النحوي بموقفه هذا؟

٧- ما مدى تأثير آراء سيبويه في موقف الفارسي من آراء المبرد؟

- **خطة البحث**:

- **المقدمة**
- **التمهيد**

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول**: **التعريف بأبي العباس المبرد**
- **المطلب الثاني**: **التعريف بأبي علي الفارسي**

- **المبحث الأول**: **من مسائل ورود الحال معرفة**
- **المبحث الثاني**: **إعراب المستثنى منه المتأخر**

التمهيد

المطلب الأول: التعريف بأبي العباس المبرد[١]

اسمه ونسبه:

يزخر تاريخنا الإسلامي وتراثنا العربي بشخصيات علمية فذة، أثرت مكتباتنا العربية، وبذلت جهدًا جهيداً في وضع أصول النحو العربي وصياغة قواعده وجمع تراثنا اللغوي ، ومن بين هذه الشخصيات: العالم النحوي المشهور بالمبرد، وهو أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبدالله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم[٢]، وعوف بن أسلم هو: ثُمَالة بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن النضر بن الأسد بن الغوث، وقال ابن

---

(١) تنظر ترجمته في: مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد اللغوي (٨٣)، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي (٧٢- ٨٠)، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي (١٠٨- ١٢٠)، ومعجم الشعراء للمرزباني (٤٤٩، ٤٥٠)، والفهرست لابن النديم (٥٩/١، ٦٠)، وتاريخ بغداد الخطيب البغدادي (٣٨٠/٣)، وجمهرة أنساب العرب للسمعاني (٣٧٧/٢)، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري (٢٧٩- ٢٩٣)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (١١١/١٩)، واللباب في الأنساب لابن الأثير (١٩٧/١)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٤٠/١- ٤٨)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٣١٣/٤- ٣٢٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٦/٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣٧٣٧، ٣٧٣٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧٩/١١، ٨١)، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٤٣٠/٥)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردى (١١٧/٣). وبغية الوعاة للسيوطي (١١٦)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٩٠/٢)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١٩٠/٢)، والأعلام للزركلي (١٤٤/٧)، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (١١٤/١٢) (١٤٠٨هـ).

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢٤١)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣١٤/٤)، ومعجم الأدباء (١٣٧/٧).

الكلبي: عوف بن أسلم هو ثمالة، والأسد هو الأزد، الثمالي الأزدي البصري، المعروف بالمبرد النحوي(١).

وقيل: إن المبرد ليس أصله ثماليًا ، ولكنه لقب ادعاه المبرد لنفسه حيث صنع أبياتًا على لسان "عبد الصمد بن المعذل"(٢) يثبت بها نسبه(٣)، وهي(٤):

سألنا عن ثُمالَة كلَّ حيٍّ ... فقال القائلون ومَن ثُمالَهْ
فقلتُ: محمَّدُ بنُ يزيدَ منهم ... فقالوا: زدْتَنا بهمُ جَهَالَه
فقال لي المبرِّدُ: خلِّ قومي ... فقومي معشرٌ فيهم نَذالَه(٥)

مولده:

الذي عليه أكثر كتب التراجم أن المبرد قد ولد في يوم الاثنين " غداة عيد الأضحى سنة عشر ومائتين " ، ذكر هذا في "تاريخ بغداد"، و"الفهرست"

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣١٤/٤)، ومعجم الأدباء (١٣٧/٧).
(٢) هو أبو القاسم، عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي، من بني عبد القيس، من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي سنة (٢٤٠هـ)، كان هجاءً، شديد المعارضة سكيرا خميرا. (يُنظر: الأعلام للزركلي (١١/٤).
(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢٤٢)، وقال ابن خلكان: "الثمالي: بضم الثاء المثلثة وفتح الميم وبعد الألف لام، هذه النسبة إلى ثمالة، واسمه عوف بن أسلم، وهو بطن من الأزد، قال المبرد في كتاب الاشتقاق: إنما سميت ثمالة لأنهم شهدوا حربا فني فيها أكثرهم، فقال الناس: مابقي منهم إلا ثمالة، والثمالة: البقية اليسيرة. يُنظر: (وفيات الأعيان: ٣٢٠/٤).
(٤) معجم الأدباء (١٣٧/٧).
(٥) الأنساب للسمعاني (٥١٣/١)، ومعجم الأدباء (١٣٧/٧).

لابن النديم، و"معجم البلدان"، و"المنتظم" لابن الجوزي، و"ريحانة الألباء"[١]، وفي "وفيات الاعيان" أنه ولد سنة (٢١٠ هـ)، وقيل: سنة (٢٠٧هـ)، وتوفي (٢٨٦ ه)، وقيل: سنة (٢٨٥ هـ) [٢]، وفي "النجوم الزاهرة" أنه قد ولد سنة (٢٠٦ هـ)، وقيل: سنة (٢١٠ هـ) وتوفي سنة (٢٨٥ ه)[٣]، ونقل صاحب "معجم المؤلفين" عن "المختصر للزبيدي": أنه ولد في آخر سنة (٢٢٠ ه)، وتوفي آخر سنة (٢٨٠ ه)[٤].

نشأته وحياته:

ذكر ابن النديم عن عبد الله محمد بن القاسم" كان المبرد من السورجيين بالبصرة، ممن يكسر الأرضين، وكان يقال له حيال السورجي، وانتمى إلى اليمن ولذلك تزوج المبرد ابنة الحفصي والحفصي شريف من اليمنية[٥].

(١) يُنظر: معجم الشعراء للمرزباني (٤٤٩، ٤٥٠)، والفهرست لابن النديم (٥٩/١، ٦٠)، وتاريخ بغداد (٣٨٠/٣)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (١١١/١٩)، والأعلام للزركلي (١٤٤/٧)، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (١١٤/١٢).

(٢) يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٣١٣/٤- ٣٢٢)، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (١٨٧/١)، والأعلام للزركلي (١٤٤/٧)، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (١١٤/١٢) (١٤٠٨هـ).

(٣) يُنظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردى (١١٧/٣)، والأعلام للزركلي (١٤٤/٧)، ومعجم المؤلفين (١١٤/١٢).

(٤) يُنظر: معجم المؤلفين لرضا كحالة (١١٤/١٢) (١٤٠٨هـ).

(٥) الفهرست لابن النديم (٨٨/١).

أما فيما يخص نشأته وصباه فلم تذكر المصادر عنها شيئًا سوى أنه "كان جميلاً لا سيما في صباه "[١]، وأنه أكب منذ صغره على التزود من اللغة على أيدي أعلام عصره من البصريين وكان شغوفًا بالنحو والصرف حيث " قرأ كتاب سيبويه على الجارمي (ت: ٢٢٥هـ)، ثم توفى الجارمي فابتدأ قراءته على المازني (ت: ٢٤٩هـ)"[٢]، قال سهل بن أبي سهل البهزي وإبراهيم بن محمد المسمعي : " رأينا محمد بن يزيد وهو حديث السن ، متصدراً في حلقة أبي عثمان المازني يقرأ عليه كتاب سيبويه ، وأبو عثمان في تلك الحلقة كأحد من فيها"[٣].

صفاته وأخلاقه:

وصف أبو بكر بن أبي الأزهر ــ تلميذ المبرد ــ أستاذه فقال : "كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم ، وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ وحسن الإشارة ، وفصاحة اللسان ، وبراعة البيان ، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة ، وبلاغة المكاتبة ، وحلاوة المخاطبة ، وجودة الحظ ، وصحة القريحة ، وقرب الإفهام ، ووضوح الشرح ، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه "[٤].

(١) بغية الوعاة (٢٦٩/١).
(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢٤٢).
(٣) طبقات النحويين واللغويين (١٠١).
(٤) إنباه الرواة (٢٤٢/٣).

وكان المبرد حسن المحاضرة ، فصيحًا ، بليغًا ، مليح الأخبار ، ثقة فيما يرويه ، كثير النوادر فيه ظرافة ولباقة . كما أنه كان كثير الأمالي[١].

وتدلّ كتابات المبرد المتنوعة والمتباينة على أنه يمتلك دقة بالغة في حسّه اللغوي، وهذا ما جعله يودع في كتبه ومصنفاته كثيراً من الملاحظات اللغوية والتعبيرية التي تشير إلى رهافة حسه اللغوي الشديد، كما تشير إلى قوة شخصيته، واستقلاله برأيه مما حمله على أن يكون من أوائل مؤلفاته أن يعترض على سيبويه في كثير من مسائل، وذلك حسبما أورده في كتاب "مسائل الغلط" الذي سوف تكشف هذه الدراسة عنه الكثير والكثير من آراء المبرد واتجاهاته.

وقد روي عنه أنه كان شاعرًا ، فبالإضافة إلى رياسته وتفرده بمذهب أصحابه ، كما أنه أربى عليهم بفطنته وصحة قريحته حيث كان يقول الشعر، وكان لا ينتحل ذلك ولا ينتسبه إلى نفسه ، ولا يرسم نفسه به ، بل كان يقول شعره جيد كثير لا يدعيه ولا يفخر به ، فمنه قوله في " عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحارث ، وقد ورد عليه كتابه وفي درجة التسبيب بأرواقه إلى مصر ، فأجاب عن الكتاب بأبيات قالها على البديهة :

بنفسي أخ برٌّ شددت به أزري	فألفيته حراً على العسر واليسر
أغيب فلي منه ثناءٌ ومدحة	وأحضر منه أحسن القول والبشر
وما طاهرٌ إلا جمالٌ لصحبه	وناصر عافيه على كلب الدهر
تفردت يا خير الورى فكفيتني	مطالبةٌ شنعاء ضاق لها صدري[٢]

(١) يُنظر: معجم الأدباء (١٣٧/٧)، ووفيات الأعيان (٣١٤/٤).

(٢) إنباه الرواة (٢٤٧/٣).

ولكن رغم كل تلك الصفات التي ذكرت فيه إلا أنه كان ممسكًا بخيلاً ، بل كان من أبخل الناس بكل شيء ، حيث كان القفطي يذكر عنه قوله : إنه لا يكون نحوي جوادًا ؛ فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : ترونه يفرق بين الهمزتين ، ولا يفرق بين سبب الغنى والفقر ! يريد أن الإمساك سبب من أسباب الغنى ، والعطاء سبب من أسباب الفقر، وقال أيضًا : ما وزنت شيئا بالدرهم الا ورجح الدرهم في نفسي، هذا مع السعة التي كان فيها(١).

حياته العلمية وآراء العلماء فيه:

عاصر المبرد أبا العباس أحمد بن يحي الملقب بثعلب صاحب كتاب "الفصيح" الذي كان من أعلام الكوفيين ، وكان يقع بينهما ما يقع بين المتعاصرين من اجتماعات ومناظرات (٢).

ويروى أن المبرد كان يحب الاجتماع في المناظرات بثعلب والاستكثار منه، وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع منه ، وحكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلي وكان صديقهما ، قال : قلت لأبي عبد الله الدينوري ختن ثعلب : لم يأت ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأن المبرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فإذا اجتمعا

(١) يُنظر: إنباه الرواة (٢٤٩/٣). طبقات النحويين واللغويين (١٠٦)، ومن طرائف الكتب، ليوسف بن محمد العتيق، بحث منشور في صحيفة الجزيرة السعودية، الطبعة الأولى، العدد (١٠٧١٥)، بتاريخ: الأحد (٢٤) ربيع الثاني لسنة (١٤٢٢هـ).

(٢) يُنظر: إنباه الرواة (٣١٤/٤).

في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن ، لهذا كان أكثر أهل التحصيل يفضلونه (١).

وقال بعضهم فيهما(٢):

أيا طالب العلم لا تجهلَنْ ... وعُذْ بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذَيْنِ علم الورى ... ولا تك كالجمل الأجرب
علوم الخلائق مقرونة ... بهذين في الشرق والمغرب

وكان المبرد مقدماً في الدول عند الوزرء والأكابر ، ولما مات الفتح بن خاقان كتب محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحارث يحث في إشخاص محمد بن يزيد المبرد فلم يزل مقيمًا معه ، وسبب له أرزاقًا على مصر حسب ما كانت أرواق الندامى تجري عليهم من هناك(٣).كما يعدّ المبرد من جيل ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وتلميذًا للجاحظ (ت ٢٢٥هـ)، روى عنه في عدة مواطن من كتبه، وقد صرح بروايته عنه في مواطن عديدة من "الكامل" إلا أن هذه التلمذة وذلك التزامن لما يتولد عنهما تجانس في الاهتمام والمشارب ، لأن كلاً من ثقافة الجاحظ وابن قتيبة كانت تتسم بالشمولية والنظرة الموسوعية ، مع فارق في الدرجة والنوع ، مسخرة لأغراض عقائدية أملاها انتماؤهما المذهبي ، فإن ثقافة المبرد غلب عليها الطابع اللغوي بالدرجة الأولى والطابع الأدبي بالدرجة الثانية فالرجل شيخ من شيوخ النحو والعربية ورأس الطبقة السادسة من النحاة . والمتصفح لقائمة المصادر المنسوبة إليه يرى بوضوح غلبة هاتين النزعتين اللغوية والأدبية – برغم أنه لم يتخلف عن المساهمة بالتأليف

(١) معجم الأدباء (١٤١/٧)، وبغية الوعاة (٢٦٩/١).
(٢) السابق ١٣٩/٧).
(٣) يُنظر: إنباه الرواة على أنباه النحاه (٢٤٧/٣).

في مشاغل عصره إلا أنه إما باشر ذلك من زاوية لغوية، أو أن مساهمته لا تعدو الرسالة المفردة في الموضوع [١].

وقد احتل المبرد مكانة مرموقة بين معاصريه وشهد له من تأخر عنه بعلمه ، قال فيه تلميذه نفطويه: "ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه"[٢]. وقال اليوسفي الكاتب ــ كاتب المأمون : " كنت يومًا عند أبي حاتم السجستاني إذ أتاه شاب من أهل نيسابور فقال : يا أبا حاتم إني قدمت بلدكم ، وهو بلد العلم والعلماء ، وأنت شيخ هذه المدينة ، وقد أحببت أن أقرأ عليك " كتاب سيبويه" ، فقال " الدين النصيحة " إن أردت أن تنتفع بما تقرؤه فاقرأ على هذا الغلام ، محمد بن يزيد ، فتعجب"[٣]. وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي : " لم ير أبوالعباس مثل نفسه ممن كان قرينه ولا يرى بعده مثله"[٤]. وقال السيرافي : " سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : ما رأيت أحسن جوابًا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم ولقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب"[٥]. وقال أيضاً : " انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى أبي العباس بن يزيد الأزدي"[٦]. وقال أبو سعيد – رحمه الله –: " وقد نظر في كتاب سيبويه في

---

(١) يُنظر: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، طبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ط١، ١٩٨١م. (٤٢٤).

(٢) بغية الوعاة (٢٦٩/١).

(٣) طبقات النحويين واللغويين (١٠١).

(٤) إنباه الرواة (٢٤٢/٣).

(٥) معجم الأدباء (١٣٧/٧).

(٦) أثر النحاة في البحث البلاغي، لعبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١. د ت (ص: ٢١٩).

عصره جماعة ولم يكن لهم كنباهته ، يعني المبرد"[١]. وذكره ابن جني فقال : " يعد جيلاً في العلم ، وإليه أفضت مقالات أصحابنا وهو الذي نقلها وقررها وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها"[٢]. أما الأزهري فقد قال عنه في مقدمة معجمه تهذيب اللغة: "كان أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه"[٣]. ووصفه " الخطيب البغدادي " بأنه شيخ أهل النحو ، وحافظ علم العربية ... وكان عالمًا فاضلاً موثوقاً به في الرواية ، حسن المحاضرة ، مليح الأخبار ، كثير النوادر "[٤].

وقال البحتري في مدح المبرد[٥]:

ما نال ما نال الأمير محمد	بيمن محمد بن يزيد
وبنو ثمالة أنجم مسعودة	فعليك ضوء الكوكب المسعود
شفعت خراسان العراق بزورة	من زائر طرف اللقاء جديد
ذاك المبارك خلة، ولربما	مني الجليل بأشأم منكود

مؤلّفاته:

إن علم المبرد الدقيق بالشعر ، وبراعته في النحو واللغة ، كانت حصيلته مؤلفات تطرق فيها إلى ما تطرق إليه النحاة قبله ، وأضاف إليها ما استفاده من

---

(١) الفهرست (٢٦٩).

(٢) المدارس النحوية، لشوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط١، د ت (١٢٤).

(٣) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، الأزهري، الهروي، المتوفى (٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. (٣٤/١).

(٤) تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط. د، د ت (٣٨٠/٣).

(٥) الأبيات غير موجودة في الديوان، يُنظر: المقتضب، لأبي العباس المبرد (٢٥/١).

النقاد والبلاغيين، وقد قال بعضهم عن مؤلفاته: "وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان"[١]. وهذه المؤلفات هي : " كتاب الكامل ، وكتاب الروضة ، وكتاب المقتضب ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب الأنواء والأزمنة ، وكتاب القوافي ، وكتاب الخط والهجاء ، كتاب المدخل إلى سيبويه ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب المذكّر والمؤنث، وكتاب معاني القرآن ويعرف بالكتاب التام ، وكتاب احتجاج القراءة ، وكتاب الرسالة الكاملة ، وكتاب الرد على سيبويه أو مسائل الغلط، وكتاب قواعد الشعر ، وكتاب إعراب القرآن ، وكتاب الحث على الأدب والصدق، وكتاب قحطان وعدنان ، وكتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه وكتاب المدخل في النحو ، وكتاب شرح شواهد كتاب سيبويه وكتاب ضرورة الشعر ، وكتاب أدب الجليس ، وكتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه ، وكتاب معاني صفات الله ــ جل وعلا ، وكتاب الممادح والمقابح ، وكتاب الرياض المونقة ، وكتاب أسماء النواهي عند العرب ، وكتاب الإعراب ، وكتاب الجامع لم يتمه ، وكتاب التعازي ، وكتاب الوشى ، وكتاب فقر كتاب سيبويه ، وكتاب الناطق ، وكتاب العروض ، وكتاب العروض ، وكتاب فقر كتاب الأوسط للأخفش ، وكتاب البلاغة، وكتاب شرح كلام العرب وتلخيص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها ، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن ، وكتاب الفاضل والمفضول ، وكتاب طبقات النحويين البصريين وأخبارهم ، وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى، وكتاب الحروف ، وكتاب التصريف "[٢]. وأهم وأشهر هذه المؤلفات لدى المبرد:

(١) وفيات الأعيان وإنباه أبناء الزمان (٣/٤٤).
(٢) الفهرست (٢/٢٦٧، ٢٦٨).

كتاب المقتضب :

ومن آثاره المنشورة والمشهورة كتابه " المقتضب "في النحو وهو من " أنفس مؤلفاته وأنضج ثمراته وأصدق وثيقة سجلت آراءه واتجاهاته ، ولو تبارى النحويون لكان آخره جواد يقدمه المبرد إلى السياق"[١].

حكى الرماني قال : " ذكر كتاب " الأصول " بحضرة ابن السراج ، فقال قائل : هو أحسن من " المقتضب " ، فقال أبو بكر : لا تقل هكذا ، وأنشد :

ولو قَبْلَ مَبْكاها بَكَيتُ صبابَةً بسُعدي شَفيت النّفس قبلَ التندُّمِ

ولكنْ بَكَتْ قَبلي فهيَّج لي البُكا بُكَاها فقلتُ الفَضلُ لِلْمُتَقَدِّمِ"[٢].

وعلى هذا فالمقتضب هو أنفس مؤلفات المبرد وأنضجها ثمرة، وأقدم ما وصلنا من كتب النحو بعد كتاب سيبويه. كما قال الأستاذ بجامعة الأزهر، محمد عبد الخاق عضيمة، في نشرته النفيسة للكتاب، القاهرة ١٩٦٣م. معتمداً نسخته الفريدة في العالم، وهي التي تحتفظ بها مكتبة كبريلي زاده في الأستانة، وتقع في (١٣٠٣) صفحات، بلا مقدمة ولا خاتمة. وقد كتبت بخط مهلل بن أحمد الأموي سنة ٣٤٧هـ عن نسخة أبي سعيد السيرافي، المكتوبة في ذات السنة.

وقد ألف المبرد كتابه هذا قبل (الكامل) فلما ألف (الكامل) أحال إليه في كل مرة تحدث فيها عن مسائل اللغة، ويضم (٥٦١) شاهداً، منها في كتاب سيبويه (٣٨٠) شاهداً. ويؤخذ عليه فيه حملتُه اعلى أصحاب القراءات السبع[٣].

---

(١) أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية، لمحمد عبد الخالق عضيمة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٤٩م. (١٢٧).

(٢) يُنظر: الحيوان للجاحظ (٢٠٦/٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٥٠/٣)، أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية (١٢٧).

(٣) يُنظر: بحث: (الأصوات اللغوية عند المبرد في كتابه المقتضب)، د. حازم طه: مجلة آداب الرافدين، بالمغرب، المجلد (٢٣)، (ص٥٩).

وعلى الرغم من أن كتابه المقتضب، وهو أكبر مصنفاته وأنفسها غير أن ياقوت الحموي قد نقل عن أبي علي الفارسي أنه قال : "نظرت في "المقتضب" فما انتفعت منه بشيء إلا بمسألة واحدة، وهي وقوع "إذا" جواباً للشرط في قوله تعالى: {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ}[١]. ويزعمون أن سبب عدم الانتفاع به، أن هذا الكتاب أخذه ابن الراوندي الزنديق عن المبرّد، وتناوله الناس من يد ابن الراوندي، فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع به"[٢].

ولما حقق العلامة الشيخ عبد الخالق عضيمة كتاب المقتضب وقام بنشره فزال عنه الشؤم المزعوم وعمت به الفائدة؛ ذلك أنهضم المحقق إلي هذه النشرة ثلاثة كتب، هي: ١- نقد المبرد لسيبويه، وسماه: (مسائل الغلط) ويضم (١٣٢) مسألة، ذكر منها في المقتضب (٣٤) مسألة. ونقل ابن جني اعتذاره عنه بأنه مما ألفه في حداثته. ٢- رد أحمد بن ولاد (٣٣٢هـ) على نقد المبرد. ٣- مختصر تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب، للفارقي (ت ٣٩١هـ) وذيّل مسائل النقد بما يقابلها من كتاب سيبويه. وهي (١٥٥٠) نصاً. فجاء الكتاب عدا الفهارس في (١٤٥٢) صفحة من القطع الكبير، في (٤) مجلدات. وقد وقع فيه تكرير لخمسة أبواب، ذكرها المحقق[٣].

وقال المُفَجِّع البصري: "كان المبرّد لكثرة حفظه للغة وغريبها يُتّهم بالوضع فيها، فتواضعنا على مسألة نسأله عنها لا أصل لها لننظر ماذا يجيب ؟ وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعضِ

---

(١) سورة الروم (٣٦).

(٢) معجم الأدباء (٢/٤٥٤).

(٣) يُنظر: بحث: (الأصوات اللغوية عند المبرد في كتابه المقتضب)، د. حازم طه (ص٥٩).

فقال البعض: هو من البحر الفلاني، وقال آخرون: هو من البحر الفلاني، وتردد على أفواهنا من تقطيعه: القبعضنا، ثم ذهبنا إلى المبرّد فقلت له: أيدك الله تعالى ما القبعض عند العرب!؟ فقال: هو القطن، وفي ذلك يقول الشاعر:

كأن سنامها حشي القِبَعْضا

قال: فقلت لأصحابي: ترون الجواب والشاهد، فإن كان صحيحاً فهو عجب، وإن كان مختلقا على البديهة فهو أعجب"(١).

والقارئ لكتاب "المقتضب" يدرك أنه يمتاز بوضوح العبارة، وظهور الفكرة، وأن صاحبه مباشر فيما يرمي إليه، كما أنه يمتاز بكثرة التطبيقات، ذلك أن المبرد قد عقب على كثير من الأبواب بمسائل تطبيقية، أطال فيها وأكثر منها وكأنه يهتم بتلاميذه ومن يقرأ كتابه، كما أنه حوى الكثير من آراء المبرد التي رجع فيها عما كان يظنه من قبل، الأمر الذي ستظهره هذه الدراسة في صفحاتها التالية(٢).

وفاته:

بقي المبرد في بغداد حتى توفي فيها في "شوال وقيل في ذي القعدة سنة ٢٨٥هـ في خلافة المعتضد (٣).

(١) تاريخ بغداد (٣٠٨/٣)، وتاريخ دمشق (٢٥٢/٥٦)، ومعجم الأدباء (٤٥٢/٢).
(٢) يُنظر: أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية (١٣٤).
(٣) معجم الأدباء ١٤٢/٧).

المطلب الثاني: التعريف بأبي عليّ الفارسيّ[١]

اسمه ونسبه:

هو أبو عليّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبـــان الفارسيّ النّحوي الإمام المشهور، وهو فارسي الأب، ولكن أمه عربية من سدوس شيبان من ربيعة، الذين هاجروا إلى فارس[٢].

مولده:

ولد سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة، في أواخـــر أيـــام المعتضـــد، بمدينة اسمها "فسا"، وهي بلدة كبيرة من بلاد فارس، تقارب في الكبر مدينة شيراز[٣].

---

(١) تنظر ترجمته في: طبقات النّحـــويين واللّغـــويين (ص١٢٠)، ويتيمـــة الـــدّهر (٣٨٤/٤)، وتهـــذيب الأســـماء للنـــووي (١٨٩/١)، وغايـــة النهايـــة فـــي طبقـــات القـــراء لابـــن الجزري (٩٠/١)، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٢٨٣/١)، ومعجم الأدباء ليـــاقوت الحموي (٣١٤/١)، وتاريخ بغداد (٢٧٥/٧)، ومعجم البلدان لياقوت الحمـــوي (٢٣٢/٧)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨٠/٣١)، ووفيات الأعيان لابن خلكـــان (٨٠/٢)، والـــوافي بالوفيات للصفدي (٩/١)، وإ نباه الرّواة على أنباه النّحـــاة، (٢٧٤/١)، وشـــذرات الـــذهب (٨٩/٣)، وهديّة العارفين (٢٧٠/١)، والأعلام للزركلي (١٧٩/٢)، ومقدمة كتـــاب الشـــعر لأبي علي الفارسي (٤/١).

(٢) يُنظر: معجم الأدباء (٢٣٢/٧)، ومعجـــم البلـــدان (٢٦٠/٤)، وإشـــارة التعيـــين (٣٩٥)، وأعيان الشيعة (١٠/٥)، ومقدمة كتاب الشعر لأبي علي الفارسي (٤/١).

(٣) يُنظر: طبقات النّحويين واللّغويين (١٢٠)، ويتيمـــة الـــدّهر (٣٨٤/٤)، وتـــاريخ بغـــداد (٢٧٥/٧)، معجم الأدباء (٢٣٢/٧)، وإ نباه الرّواة على أنباه النّحاة (٢٧٤/١)، وشـــذرات الذهب، (٨٩/٣)، وأعيان الشيعة (١٠/٥) ، ومقدمة كتاب الشـــعر لأبـــي علـــي الفارســـي (٤/١)..

نشأته وحياته العلمية:

عاش أبو علي الفارسي بين المولد والوفاة حياةً حافلة بالتّحصيل والانتقال والدّرس والتصانيف، والظاهر أنّ أبا عليّ لم يتزوّج ولم ينجب، وظهر ذلك في وصف ابن جنّي له بخلوٍّ سربه وسروح فكره وخلوّه بنفسه وإنّما وقف حياته على العلم لا يعتاقُه عنه ولد، ولا يعارضُه فيه مَتجر(١).

خرج من موطنه فارس ودخل بغداد سنة (٣٠٧ هـ)، وتجول في كثير من البلدان، وأقام طويلاً في بلاد الشام، وكان أكثر مقامه بحلب في بلاط سيف الدولة بن حمدان، وكان قدومه عليه في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وحينها جرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مناظرات، ثم عاد إلى فارس وأقام في شيراز بصحبة عضد الدولة بن بويه حتى سنة (٣٦٨هـ)، ومنها عاد إلى العراق، وقد علت منزلته في فارس علواً كبيراً، واشتدت علاقته بعضد الدولة.

حياته العلمية وآراء العلماء فيه:

تلقّى أبو عليّ ثقافته الأولى في مسقط رأسه (فسا) فقد حصل فيها على المبادئ الأولى للدارس من حفظ القرآن والحديث والفقه وبعض شعر العرب. فلمّا انتقل الفارسيّ إلى بغداد، وأقام في بلاط المعتضد التقى أعلام العلماء الذين ملأت شهرتهم الآفاق.وقد كانت حياته حركة دائمّة، وعلماً متّصلاً انطلق في طلب العلّم تدفعه إليه الرّغبة الجّامحة والجدّ والقريحة الصافية حتى ضارع أئمّة عصره، وتدلّ أسماء مسائله على تنقله، وترحاله

(١) يُنظر: الخصائص (٢٧٧/١)، والمحتسب (٣٤/١).

في سبيل طلب العلّم. ونال ما كان يرجوه فعلا شأنه، وتصدّر مجالس العلم والتّدريس(١).

ولا غرابة في سعة علم الفارسي وتنوع ثقافته، فقد عاصر الفارسيُّ الرمانيَّ، والسيرافيَّ، وابنَ السراج، والزّجاجيَّ، وغيرهم، وكان واحداً منهم، وربّما تفوّق عليهم علماً وشهرة. غير أنّ الفارسيّ لم يكتفِ بما سمع من هؤلاء فحسب، وإنّما اطّلع على مؤلّفات سابقيه التي استفاد منها كثيراً، مثل: سيبويه، والأخفش الأوسط، والكسائيّ، والفرّاء، والمازني، والمبرّد..، وغيرهم ممن اشتهروا في النّحو وعلا ذكرهم. وأبو عليّ باتصاله بهؤلاء الأئمّة وأخذه عنهم، واطّلاعه على كتبهم، استطاع عن جدارة أن يكون من أئمّة العربيّة، وأغزرهم مادّة وأوسعهم اطّلاعاً. حيث أثنى تلامذته ومترجمو حياته عليه ثناءً جَمّاً متنوّع العبارة، يكاد لم يحظَ به أحد من نحّاة القرن الرابع الهجري، فكانوا يقرنونه بسيبويه، ويفضّلونه على المبرّد فهو أستاذ عصره، ومتقدّم أهلِ الصّنعة في زمانه، وأنحى من جاء بعد سيبويه(٢).

أما عن أقوال العلماء فقد قالوا عنه: هو الإمام أبو علي الفارسي المشهور في العالم اسمه، المعروف تصنيفه ورسمه، أوحد زمانه في علم العربية، أوحد زمانه في علم العربية، وكان عديم المثل، صاحب التصانيف، وصنف كتباً عجيبة حسنة، أخذ النحو عن جماعة من أعيان هذا الشأن كأبي إسحاق الزجاج وأبي بكر بن السراج وأبي بكر مبرمان

(١) يُنظر: ينظر معجم الأدباء (٢٥٧/٧)، والبلغة في تراجم أئمّة النّحو واللّغة (٨١)، وغاية النهاية (٢٠٧/١).

(٢) يُنظر: ينظر نزهة الألبّاء (٢٣٢)، معجم الأدباء (٢٣٩/٧)، وإنباه الرواة (٢٧٤/٢).

وأبي بكر الخياط وطوف كثيراً من بلاد الشام ومضى إلى طرابلس فأقام بحلب مدة وخدم سيف الدولة بن حمدان ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات، كان إمام وقته في علم النحو، ودار البلاد، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس، ثم انتقل إلى بلاد فارس، علت منزلته في النحو، حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم منه، وصنف كتباً عجيبة حسنة، لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الآفاق، وبرع له غلمان حذاق، مثل: عثمان بن جني، وعلي بن عيسى الربعي الشيرازي، وغيرهما، وكان أبو طالب العبدي يقول: لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه أحد أبصر بالنحو من أبي علي، وصحب عضد الدولة بن بوبه، وتقدم بالنحو عنده، وعلت منزلته، حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو، وغلام أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم، وصنف له كتاب الإيضاح في النحو والتكملة في التصريف، وقصته فيه مشهورة، وله تصانيف أخرى تزيد على عشرة، وبالجملة هو فضله اشهر من أن يذكر ويعدد[(١)].

وفي مجمع البيان يعد تفسير قوله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ}[(٢)]، قال وهذا كله مأخوذ من كلام أبي علي

(١) يُنظر: ينظر: تاريخ بغداد (٢٧٥/٧)، وإنباه الرواة (٢٧٣/٢)، ووفيات الأعيان (٣٦٢/١)، وبغية الوعاة (٢١٦)، وشذرات الذهب (٨٨/٣)، ومعجم الأدباء (٢٣٩/٧)، وأبو علي الفارسي: حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية، وآثاره في القراءات والنحو، د: عبدالفتاح إسماعيل شلبي (١٤٦).

(٢) سورة المائدة (١٠٦).

الفارسي وناهيك به فارساً في هذا الميدان نقاباً يخبر عن مكنون هذا العلم بواضح البيان اهـ[١].

مؤلّفاته:

كانت طبيعة أبى على ناقدة، وقريحته وقادة تعقب الشيوخ بإصلاح ما أغفلوه، وتتبعهم بالتنبيه على مواضع السهو والغلط، فجاءت آثار أبى على صورة صادقة لهذه العوامل التى أحاطت به في بيئته العامة، وطبيعته، وظروفه الخاصة، وترك ثروة علمية ضخمة، فتعددت مصنفات أبي علي الفارسي، حتى بلغت نحو الأربعين، قدر كبير منها مسائل أملاها في البلدان التي نزل بها فنسبت إليها، وممن أحصى تلك المصنفات ياقوت الحموي في (معجم الأدباء)، كما استقصاها ممن ترجم له دارسوه وناشرو كتبه، وفيما يأتي عرض لكتب أبي علي الفارسي التي توصلت إليها، مرتِّبة لها ترتيباً هجائياً، ومبينة ما هو منها مطبوع[٢]:

= أبيات المعاني. وهو من كتبه المفقودة[٣].

= الإغفال، أو المسائل المصلَحة يرويها عن الزجاج: من كتاب (معاني القرآن وإعرابه) لأبي إسحاق الزَّجَّاج (ت: ٣١١ هـ)، لمؤلفه: أبو علي الفارسي، وقيل: كتاب الإغفال، وهو مسائل أصلحها على الزجاج، وقيل: الأغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني، وقد حققه د. عبد الله بن عمر الحاج

---

(١) مجمع البيان لعلوم القرآن، فضل بن حسن الطبرسي، تحقيق محلاتي وطباطبائي، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ. (٣/٣٩٤).

(٢) يُنظر: المراجع السابقة.

(٣) يُنظر: معجم الأدباء (٧/٢٤١).

إبراهيم، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، قسم الدراسات الإسلامية، وطبع في المجمع الثقافي، أبو ظبي، ونشره مركز جمعة الماجد في دبي، في الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٤ ه، ٢٠٠٣ م.

= التذكرة في النحو، وقيل عنه: التذكرة في علوم العربية: وهو كبير في مجلدات، بلغت عشرين مجلداً، ولا يزال مفقوداً إلى الآن، وقد لخصه أبو الفتح عثمان بن جني(١).

= التكملة في التصريف: تمّم به الإيضاح، فتناول فيه أبواب التصريف، وهو من أجود ما صنّف في بابه، يمتاز بوضوح عبارته وعدم الإطالة، ولعلّ ما نسب إلى عضد الدولة أنه لمّا اطّلع على كتاب التكملة وقال: "غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو"، فيه ضرب من المبالغة.

وقد طبع التكملة مع (الإيضاح العضدي)، بتحقيق: حسن شاذلي فرهود، ونشرته عمادة شئون المكتبات، بجامعة الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م، كما طبع التكملة، لأبي علي الفارسي، بتحقيق :كاظم المرجان، مكتبة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩م.

وفاته:

توفي أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ببغداد، يوم الأحد ١٧ ربيع الآخر (وقيل ربيع الأول) سنة ٣٧٧ هـ، ودُفِن بالشونيزيه عند قبر أبي بكر الرازي الفقيه، عن (٨٩) سنة. وفي معجم الأدباء عن نيف وتسعين سنة، وأوصى بثلث ماله لنحاة بغداد، فكان ثلاثين ألف دينار(٢).

---

(١) يُنظر: معجم الأدباء (٨١٤/٢)، وإنباه الرواة (٢٧٤/١)، وكشف الظنون (٣٨٤/١)، وأبو علي الفارسي لعبد الفتاح شلبي (١٥٠).

(٢) يُنظر: ينظر: تاريخ بغداد (٢٧٥/٧)، وإنباه الرواة (٢٧٣/٢)، ووفيات الأعيان (٣٦٢/١)، وبغية الوعاة (٢١٦)، وشذرات الذهب (٨٨/٣)، ومعجم الأدباء (٢٣٩/٧)، وأبو علي الفارسي، د: عبدالفتاح إسماعيل شلبي (١٤٦)، ومقدمة كتاب الشعر (٤/١).

المبحث الأول: من مسائل ورود الحال معرفة

قالَ أبُو علي الفارسي: في قولِهم: (ادخلوا الأول فالأول) ما نصه: "قالَ: فإنْ قلت: ادْخُلوا فأمَرْت، فالنصب الوجه، ولا يكون بَدَلاً.

قالَ أبُو علي: لم يَجُزْ ذلك لأنَّ الأمر إذا كان للمخاطب لم يَجُزْ أنْ يرتفع بهِ الاسم الظاهر، وقد أجازَ عيسى وأبُو العباس ذلك على أنْ يُحمل على معنى ليدخل الأول فالأول"(١).

يتعلَّق الكلامُ في هذه المسألة بمثالين من أمثلةِ النَّحويِّين يختلفان في نوعِ الفعل فيهما؛ أولهما: (دخلوا الأول فالأول) بالفعل الماضي، والآخر: (ادْخُلوا الأول فالأول) بفعلِ الأمر، وفي كلِّ مثالٍ منهما إعراب وتفصيل ذكرَهُ الفارسيُّ، وعلَّقَ عليهِ، وساقَ فيهِ رأي المبرد، وفيما يأتي توضيح هذا وبيانه:

الكلام عن/ (دخلوا الأول فالأول) :

هذا المثال ذكرَهُ سيبويه في كلامِه عن الحال الواقع معرفة؛ فقال في باب (ما ينتصب فيه الصفةُ لأنَّهُ حالٌ وقع فيه الألفُ واللام): "شبَّهوه بما يشبَّه من الأسماءِ بالمصادر، نحوَ قولك: (فاهُ إلى فيَّ)، وليس بالفاعل ولا المفعول فكما شبَّهوا هذا بقولك: (عَوْدَه على بَدْئه) وليس بمصدر، كذلك شبَّهوا الصفة بالمصدر، وشذَّ هذا كما شذَّت المصادرُ في بابِها، حيث كانت حالاً وهي معرفةٌ، وكما شذَّت الأسماءُ التي وُضِعت موضعَ المصدر.

(١) التعليقة (١/٢١٣).

وما يشبَّهُ بالشيءِ في كلامِهم وليس مثلَه في جميعِ أحواله كثيرٌ، وقد بُيِّن فيما مضى[١]، وستراهُ أيضاً إن شاء الله.

وهو قولك: دخلوا الأولَ فالأولَ، جرى على قولِك واحداً فواحداً ودخلوا رَجُلاً رَجُلاً"[٢].

فكلامُ سيبويه يُشير إلى أنَّ (الأول) هنا منصوب على الحالية، وهو وإنْ كانَ بالألفِ واللام إلَّا أنَّهُ متأوَّل بالنكرة، فهو في معنى النكرة، ولهذا فسَّرهُ بالنكرة.

وأجازَ سيبويه فيهِ الرفعَ على البدلية من الضمير المرفوع فاعلاً، على اعتبار التعريف فيه، من غير تأويل بالنكرة؛ فقال: "وإنْ شئت رفعتَ فقلت: دخَلُوا الأولُ فالأولُ، جعله بدلاً وحمله على الفعل، كأنَّهُ قال: دخلَ الأولُ فالأولُ.

وإنْ شئتَ قلت: دخلوا رجلٌ فرجلٌ، تجعله بدلاً كما قال عزَّ وجلَّ:﴿بِالنَّاصِيَةِ* نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾ [٣]"[٤].

وهذا الذي ذكره سيبويه وافقه فيه كثيرٌ من العلماء، فقد صرَّحَ بهِ المبرد، غير أنَّهُ لم يحملْ (الأول) على تأويلِه بالنكرة، بل حمله على زيادةِ الألف واللام؛ فقال في (باب ما يكون حالاً وفيه الألف واللام على خلافِ ما تجري بهِ الحال لِعلَّةٍ دخلت): "فأمَّا الأول فإنَّما انتصب على

(١) يُنظر: كتاب سيبويه (١/١٨٢).
(٢) كتاب سيبويه (١/٣٩٧، ٣٩٨).
(٣) سورة العلق (١٥، ١٦).
(٤) كتاب سيبويه (١/٣٩٨).

الحال وفيه الألف واللام؛ لأنَّهُ على غيرِ معهود، فجرَيا مَجْرَى سائر الزوائد.

ألا ترى أنَّك لو قلت: الأولُ فالأولُ أَتَوْنا – لم يَجُزْ؛ لأنَّك لست تقصِد إلى شيءٍ بعينِه، ولو قلت: الرجال أَتَوْنا – كانَ جيداً.

وإنْ شئت قلت: دَخَلُوا الأولُ فالأولُ على البدل. كأنَّك قلت: دخل الأولُ فالأولُ. وكذلك لو قلت: دخلوا رجلٌ فرجلٌ، فأبدلت النكرة من المعرفة؛ كما قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿بِالنَّاصِيَةِ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾"[1].

فكلامُ المبرد يكادُ يطابق كلام سيبويه في المسألة غير أنَّهُ علَّلَ للتنكيرِ بصورةٍ أوضح، وقد أحسنَ المبرد في تعليلِه للتنكير في (الأول) حينما أوقعها مبتدأة مُخبر عنها نحو: (الأول فالأول أتونا)، ووضَّح أنَّها في الابتداءِ لا تفيد ولا يجوز هذا؛ لأنَّها نكرة، والابتداء بالنكرة لا يفيد، ولو كانت معرفة لصحَّ الابتداء بها وأفاد نحو: (الرجال أتونا)، فهذا التعليل من المبرد برهان كامل على أنَّ (الأول) في الكلامِ المذكور إنَّما هي معرفة في اللفظ، غير أنَّها في المعنى نكرة.

وذكرَ الفارسيُّ هذهِ المسألة، فتابعَ سيبويه والمبرد فيما قالاه، غير أنَّهُ حملَ التنكير في (الأول) على زيادةِ الألف واللام، فهو وإنْ كانَ معرَّفاً بالألف واللام إلَّا أنَّهُ متأوَّلٌ بالنكرة؛ فقال (في المسائل المنثورة): "إذا قُلتَ: (دخلوا الأولَ فالأولَ) فـ(الأول) ها هنا فيه وجهان:

(١) المقتضب (٣/٢٧١).

أحدهما: أنْ تريد الحال؛ لأنَّك أردت (دخلوا منفرِدِيْنَ) وتنوي للألف واللام الحذفَ، وقد جاءَ في اللغة مثلُ هذا، قالوا للكمأة[١]: (بنات الأوبر) فجازَ الحذفُ.

والثاني : أنَّهُ يجوز الرفع على البدل من الواو، وكأنَّهُ أراد: (دخلَ الأولُ فالأولُ)"[٢].

وفي (التعليقة) ذكرَ الفارسيُّ أنَّ الزَّجَّاجَ نقلَ عن المبرد مثل هذا؛ فقال: "قالَ أبُو إسحاق عن أبي العباس: إذا قلتَ: (دخلوا الأولَ فالأولَ) فهو غير شاذٍّ، وذلك أنَّ الألفَ واللام ما دخلتا على معهودٍ، وإنَّما هو تعريف للجنس، فهو أقرب إلى النكرة"[٣].

فرأي المبرد في هذهِ الصورة محل قبول من الفارسي، كما أنَّهُ يُوافق ما قاله سيبويه في طريقةِ الإعراب وتأويل النكرة بالمعرفة، وليس هناك مُخالف لهذه المسألة فيما أجازه سيبويه، على الرغم من أنَّ قول الفارسي فيما نقله عن المبرد عن الزجاج: "إذا قلتَ: دخلوا الأول فالأول فهو غير شاذ" يُوهِم أنَّ ظاهره يُشير إلى أنَّ من العلماء من يُخالف قول سيبويه هنا، غير أنَّ الكلامَ محمول على أنَّ ظاهره رُبَّما يُفهم منه أنَّهُ شاذ لمجيء الحال معرفة، غير أنَّهُ لمَّا كانت الألف واللام محمولة على الزيادة، أو على تأويل المعرفة بالنكرة، أو نحو ذلك صار الكلام بهذا غير شاذ.

---

(١) الكَمْأَةُ : واحدُها كَمءٌ على غيرِ قياسٍ. وهو من النوادِرِ. فإنَّ القِياسَ العَكْسُ. والكَمْءُ: نَبات يُنَقِّضُ الأَرضَ فيخرجُ كما يَخرج الفُطْرُ، والجمعُ: أَكْمُؤٌ وكَمْأَةٌ (يُنظر: لسان العرب لابن منظور : كمأ ١٤٨/١).

(٢) المسائل المنثورة (٣٨).

(٣) التعليقة (١/ ٢١٢).

ومِمَّا ينبغي التنبيه إليه هنا أنَّ أبَا حيان قد نسبَ إلى المبرد غير هذا؛ فقال: "وذهبَ المبرد والسيرافي إلى أنَّ (أل) في قولِه: (الأولَ فالأول) مُعَرِّفةٌ لا زائدة، وذهبَ يونس إلى أنَّهُ حالٌ بنفسِه، وهو معرفة"(١).

وواضحٌ أنَّ هذا الذي نقله يُخالف ما هو صريح في (المقتضب)، وما هو مشهور عن المبرد.

الكلام عن/ (ادخلوا الأول فالأول) :

هذه الصورة ذكرَها سيبويه أيضاً صريحة، وصرَّحَ بأنَّها لا يجوز فيها الرفع على البدل، بل لابُدَّ من إعراب (الأول) فيها منصوباً على الحالية؛ فقال: "فإنْ قلتَ: ادْخُلوا، فأمرتَ فالنصبُ الوجهُ، ولا يكون بدلاً؛ لأنَّك لو قلت: ادْخُلِ الأولُ فالأولُ، أو رجلٌ رجلٌ، لم يَجُزْ، ولا يكون صفةً؛ لأنَّهُ ليس معنى الأول فالأول أنَّك تريد أنْ تعرِّفه بشيءٍ تحلِّيه بهِ لو قلت: قومُك الأولُ فالأولُ أَتَوْنا لم يَستقم، وليس معناه معنى كلهم فأُجريَ مجرى خمستَهم ووحدَه"(٢).

ثم ذكرَ سيبويه مذهبَ عيسى بن عمر في هذا، وأنَّهُ يُجيز فيه البدل؛ فقال: "وكانَ عيسى يقول: ادْخُلوا الأولُ فالأولُ؛ لأنَّ معناهُ: ليَدخل، فحمله على المعنى"(٣).

والظاهرُ من كلامِ سيبويه هنا أنَّهُ لا يردَّ قولَ عيسى بن عمر، وإنَّما يذكر تعليله لقبولِ الرفع على البدلية في المثال، ويدلُّ على هذا أنَّهُ عقَّبَ على هذا الكلام بقولِه: "وليس بأبعد من:

---

(١) ارتشاف الضرب (١٥٦٥/٣).
(٢) كتاب سيبويه (٣٩٨/١).
(٣) السابق (٣٩٨/١).

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ"[١].

وهو بهذا يُشير إلى قولِ الشاعر:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ومُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ[٢]

فهذا من سيبويه يعني أنَّهُ لا يرد تأويل عيسى بن عمر، وهو عنده أقرب في القبولِ والاحتمالِ من قولِ الشاعر هذا، ومِمَّا يُؤكِّد أنَّ سيبويه يرتضي ما قاله عيسى بن عمر أنَّهُ قد ذكرَ هذا البيت من قبل، مُرتضياً فيهِ حمل الكلام على المعنى[٣]، فهو لا يرد تأويل البيت، كما لا يرد رأي عيسى بن عمر هنا، فيما أراهُ ويظهر لي.

والمبردُ قد عرضَ لهذا المثال المذكور بصيغةِ الأمر في الفعل، وذكرَ فيهِ ما ذكره سيبويه، ونقلَ رأيَ عيسى بن عمر فيهِ أيضاً؛ فقالَ: "فإذا قلت: ادخلوا الأولَ فالأولَ، فلا سبيلَ عند أكثر النحويين إلى الرفع؛ لأنَّ البدلَ لا يكون من المخاطب؛ لأنَّك لو قدَّرته بحذفِ الضمير لم يَجُزْ. فأمَّا عيسى بن عُمر فكانَ يُجيزه، ويقول: معناه: لِيدخل الأولُ فالأولُ،

(١) كتاب سيبويه (٣٩٨/١).

(٢) من الطويل، نُسِبَ للحارث بن نهيك، ولنهشل بن حري، ولضرار بن نهشل، وللحارث بن ضرار، ولمزرد بن ضرار، وللمهلهل، ولليبد بن ربيعة في ملحق ديوانه (٣٦٢)، والضارع: الذليل الخاضع. وأصله: من ضربُ الشجر للإبل ليسقطُ ورقها وتُعْلَف. والمختبط: الذي يأتيك للمعروف من غير وسيلة. وتطيح: تُذْهِبُ وتُهْلِكُ ، يُقال: أطاحته السِّنُون ؛ إذا ذهبتْ بهِ في طلب الرزق وأهلكته. والطوائح: جمع (مُطِيْحَة) ، بمعنى: المطيحات، يُقال: طوحته الطوائح أطاحته. والشاعر يصف أنَّهُ كان مقيماً بحُجَّةِ المظلوم، ناصراً له، مؤاسياً للفقير المحتاج. والبيت موجود في: الكتاب (٢٨٨/١ ، ٣٩٨)، والمقتضب (٢٨٢/٣)، وشرح ابن يعيش (١/ ٢١٣، ٢١٤)، والخزانة (٣٠٣/١).

(٣) يُنظر: كتاب سيبويه (٢٨٨/١).

ولا أراهُ إلَّا جائزاً على المعنى؛ لأنَّ قولك: (ادخل) إنَّما هو: (لِتَدْخُلْ) في المعنى.

وقرأَ رسولُ الله ﷺ: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُواْ﴾ (١)..."(٢).

وواضحٌ أنَّ المبردَ لم يختلفْ عن سيبويه في قبولِه لرأي عيسى بن عمر، غير أنَّ ما استشهد بهِ المبرد لرأيهِ غير ما استشهد بهِ سيبويه، وكلاهُما يحمل الكلام على المعنى.

وكذلك الحال عند الفارسي في (المسائل المنثورة)، فقد ذكرَ المسألةَ، وذهبَ فيها إلى ما ذهبَ إليهِ سيبويه والمبرد؛ فقال: "فإذا قلتَ: (ادخلوا) فالوجه النصب، أراد: (منفردين)، والرفع لا يجوز. قال: لأنَّ الأمر لا يكون للمواجهِ وتذكُرُهُ، محال أنْ تقول: (ادْخُلْ زيدٌ)، أو (ادْخُلْ الرَّجلُ)، فلمَّا كانَ هذا غير جائز لم يجز. ويجوزُ البدل على مذهبِ أبي عمر(٣)، قال: لأنَّهُ أرادَ: (ليدخل الرَّجُلُ)، فجعل (ادخلوا) دلالة على (يدخل)، واستعمله على المعنى"(٤).

---

(١) سورة يونس (٥٨)، والقراءة بالتاء بدل الياء في (فليفرحوا)، وقد نُسِبت هذه القراءة إلى النبي ﷺ، كما نُسِبت إلى: عثمان بن عفان، وأبي عبد الرحمن السلمي، وقتادة، وعاصم الجحدري، وهلال بن يساف، وأُبي بن كعب، وأنس بن مالك، والحسن البصري، وأبو رجاء العطاردي، وابن هرمز، ومحمد بن سيرين، وسليمان الأعمش، وعمرو بن قائد، والأعرج، والعباس بن الفضل الأنصاري، والكسائي في رواية، وغيرهم. (يُنظر: مختصر ابن خالويه ٦٢، والمحتسب لابن جني ٣١٣/١، والبحر المحيط ١٧٠/٥).

(٢) المقتضب (٣/ ٢٧٢).

(٣) يُريد: أبو عمر الجرمي، فهذا رأي عيسى بن عمر كما أشرتُ سابقاً ، وجاء في كتاب سيبويه، وقد أخذ بهِ الجرمي.

(٤) المسائل المنثورة (٣٨).

وواضحٌ هنا أيضاً أنَّ مذهبَ الفارسي وموقفه من كلامِ عيسى بن عمر ليس ببعيدٍ عمَّا ذكره سيبويه والمبرد، فهو يُشير إلى أنَّهُ يحمل الكلام على المعنى.

ويظهرُ واضحاً أنَّ الفارسي ذكر المسألة في (المسائل المنثورة) كما ذكرها في (التعليقة)، غير أنَّهُ نسبَ جوازَ البدل هنا إلى عيسى بن عمر والمبرد، وأرى أنَّ هذا الأمر فيهِ نظر من وجوه:

أنَّ الفارسيَّ لم يربطْ بين كتبه، حيث لم يجعل النسبة في الكتابين واحدة، ولعلَّ هذا يُشير إلى أنَّهُ قد ألَّف (التعليقة) بعد تأليفه لكتاب (المسائل المنثورة)، فاستدرك في الأخير النسبة، وضمَّ المبرد في جوازِ البدل إلى عيسى بن عمر.

ولم يظهرْ من كلامِ الفارسي في كتابيه أنَّهُ يُوافق عيسى بن عمر والمبرد فيما ذهبا إليهِ، بل يُلمح منه أنَّهُ يُخالفهما فيما قالاه، وذلك أنَّهُ أوردَ رأيَهُما بعدما صرَّحَ بأنَّ البدل لا يجوز مع فعل الأمر، وأنَّهُ لا يصح حمل الكلام عليه، كما أنَّهُ ساقَ كلامَهُما من غير أنْ يُشير إلى حُجَّتِهما فيما قالاه، مِمَّا يُرجِّح لدي أنَّ الفارسي هنا يعترض على كلامِهما ولا يقبله.

وأرى – واللهُ أعلم – أنَّ الفارسي هنا قد فهم من كلامِ سيبويه أنَّهُ يُخالف ما ذهبَ إليهِ عيسى بن عمر، وأن سيبويه لا يرى هذا القول ولا يحمل الكلام عليه، وقد بيَّنت في تعليقي على كلامِ سيبويه أنَّهُ يرتضي ما قاله عيسى بن عمر؛ لأنَّهُ أوردَ الشاهدَ الذي يُؤَيِّد مذهبه، والذي يمكن من خلالِه قبول ما قاله ابن عمر، غير أنَّ الفارسي لم يرَ هذا في كلامِ سيبويه، والمبرد الذي يُوافق ما ذهبَ إليهِ سيبويه، مِمَّا حملَه على ضمِّ المبرد إلى عيسى بن عمر، وجعلهما معاً يقبلان البدلية في المثال دون سيبويه.

والذي يؤكِّد أنَّ سيبويه قد ارتضى ما قاله عيسى بن عمر على وجهٍ في العربية: أنَّ السيرافي قد أشارَ إلى هذا، غير أنَّهُ أشارَ إلى أنَّ سيبويه لم يقبلْ ما قاله عيسى بن عمر وعلَّلَ لذلك، ولمَّا رأى جوازَهُ على وجهٍ في العربيةِ حمله عليه؛ قالَ السيرافي: "وحكى سيبويه: (أنَّ عيسى بن عمر كانَ يقول: ادخلوا الأولُ فالأولُ) على البدل من الواو؛ (لأنَّ معناه: ليدخل) الأولُ فالأولُ، ولم يجز ذلك سيبويه؛ لأنَّ لفظَ الأمر للمواجه، لا يجوز أن يُعرَّى من ضمير، وإذا أُبدل الظاهر منه فكأنَّهُ لا ضمير فيه، ألا ترى أنَّهُ لا يجوز:

ادخلا الزيدان، ولا ادخلوا غلمانُ زيد، فتُبدل من ضميرِ الاثنين والجماعة المخاطبين؛ لأنَّا لا نقول: ادخل غلمانُ زيد، فإذا أبدلنا فقد أبطلت الواو.

ولم يفسِّر سيبويه علَّته، بل جوَّزه على وجهٍ من وجوه ما يُحمل على المعنى، وهو قولهم:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ"[(١)].

وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ بعضَ النحويين لم يشترط وقوع الحال نكرة، بل ذهبُوا إلى جوازِ وقوع الحال معرفة، وحملُوا عليهِ نحو: (ادخلوا الأول فالأول)، فليس الكلام عندهم على تأويلِ المعرفة بالنكرة، وإنَّما هم يحملون الكلام على التعريف، من غيرِ تأويل، ويُجيزون الحال معرفةً؛ قالَ المرادي: "ما تقدَّم من اشتراط تنكير الحال هو مذهبُ الجمهور، وأجازَ يونسُ والبغداديُّون أنْ يأتي معرفة، وقاسُوا على نحو: (ادخلوا الأولَ فالأولَ).

وأجازَ الكوفيُّون أنْ يأتي على صورةِ المعرفة"[(٢)].

---

(١) شرح السيرافي (٦/ ١٦، ١٧).

(٢) توضيح المقاصد (٦٩٧/٢)، ويُنظر: ارتشاف الضرب (٣ /١٥٦٢)، والمساعد لابن عقيل (١١/٢).

المبحث الثاني: إعراب المستثنى منه المتأخر

يتقدَّم المستثنى منهُ على المستثنى في الكلام، وهذهِ المسألة قد ذكرَها سيبويه، والمبرد، وأشارَ إليها الفارسيُّ، غير أنَّها ذات جهتين لابُدَّ من التفريق بينهُما، وسوف أرمز إلى كلِّ جهةٍ منهُما بالمثالِ المذكور فيها؛ حتى أوضِّح فيها كلامِ العلماء، ويظهرُ الفرق بينهما.

الجهةُ الأولى/ قولنا: (ما فيها إلَّا أباكَ أحدٌ)، و(ما لي إلَّا أباكَ صديقٌ):

وحكمُ المستثنى هنا وجوب النصب، وهذا ما صرَّحَ بهِ سيبويه، وعلَّلَ لهُ بِمَا نقله عن الخليل؛ فقال: "وزعمَ الخليلُ – رحمه الله – أنَّهُم إنَّما حملهم على نصبِ هذا: أنَّ المستثني إنَّما وجهُه عندهم أنْ يكونَ بدلاً ولا يكونَ مُبدَلاً منهُ؛ لأنَّ الاستثناءَ إنَّما حدُّه أنْ تَدارَكَه بعد ما تنفي فتُبدِلَه، فلمَّا لم يكن وجهُ الكلام هذا حملوه على وجهٍ قد يجوز إذا أخَّرتَ المستثنى، كما أنَّهُم حيث استَقبحوا أنْ يكونَ الاسمُ صفةً في قولِهم: فيها قائماً رجلٌ، حملوه على وجهٍ قد يجوز لو أخَّرتَ الصفة، وكانَ هذا الوجهُ أمثلَ عندهم من أنْ يَحمِلُوا الكلامَ على غيرِ وجهه. قالَ كعبُ بن مالك:

النَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيْكَ، لَيْسَ لَنَا ... إلَّا السُّيُوفَ وأَطْرَافَ القَنَا وَزَرُ[1]

سمعناهُ مِمَّن يَرويه عن العربِ الموثوق بهم، كراهيةَ أنْ يَجعلوا ما حدُّ المستثني أنْ يكونَ بدلاً منهُ بدلاً من المستثنى.

---

(١) من البسيط نُسِبَ لحسان بن ثابت، و الألب: بفتح الهمزة وكسرها ؛ القوم يجتمعون على عداوة إنسان، والقنا: الرماح، والوزر: الملجأ والحصن. والبيت موجود في: ديوان حسان بن ثابت (٢٠٦)، كما نُسِبَ لكعب بن مالك، وهو في ديوانه أيضاً (٢٠٩)، وفي: الكتاب (٣٣٦/٢)، والمقتضب (٣٩٧/٤)، والإنصاف (٢٣٨)، وشرح ابن يعيش (٥٣/٢).

ومثلُ ذلك: ما لي إلَّا أباكَ صديقٌ"[١].

ومثلما ذكرَ سيبويه هنا من وجوبِ النصب ذكرَ المبرد، وكانَ كلامه قريباً مِمَّا ذكرَهُ سيبويه؛ فقالَ في (باب ما لا يجوز فيه البدل): "وذلك الاستثناءُ المقدَّم. نحو: ما جاءَنِي إلَّا زيداً أحدٌ، وما مررتُ إلَّا زيداً بأحدٍ. وإنَّما امتنع البدل؛ لأنَّهُ ليس قبل زيد ما تُبدله منه، فصارَ الوَجهُ الذي كانَ يصلُح على المجاز لا يجوز ها هنا غيرُه.

وذلك أنَّك كنت تقول: ما جاءَنِي أحدٌ إلَّا زيد، وتُجيز: ما جاءَنِي أحد إلَّا زيداً، فلمَّا قدَّمت المستثنى بطل وجهُ البدل، فلم يبقَ إلَّا الوجهُ الثاني.

ومثالُ هذا قولك: جاءَنِي رجلٌ ظريف، فتجعل ظريفاً نعتاً لرجل، ويجوز: جاءَنِي رجلٌ ظريفاً، على الحال. فإذا قلت: جاءَنِي ظريفاً رجل – بطل الوجه الجيِّد؛ لأنَّ رجلاً لا يكون نعتاً، فصارَ الذي كانَ هناك مجازاً لا يجوز غيرُه. فمِنْ ذلك قوله:

النَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيْكَ، لَيْسَ لَنَا ... إلَّا السُّيُوفَ وأَطْرَافَ القَنَا وَزَرُ

وقال:

وَمَا لِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيْعَةٌ ... وَمَا لِيَ إِلَّا مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ[٢] "[٣].

---

(١) كتاب سيبويه (٣٣٥/٢، ٣٣٦).

(٢) بيتٌ من الطّويل للكميت بن زيد الأسدي ، ورُوِيَ: (وما ليَ إلَّا مذهبَ الحقِّ مذهبُ) ، وهو موجود في: شرح هاشميّات الكميت (٥٠)، والمقتضب (٣٩٨/٤)، والإنصاف (٢٣٨)، وشرح ابن يعيش (٥٢/٢)، وأوضح المسالك (٢٣٤/٢).

(٣) المقتضب (٣٩٧/٤، ٣٩٨).

وقد شرحَ الفارسيُّ كلامَ سيبويه السابق، من غيرِ أنْ يذكر لهُ ما يُعارض؛ فقال: في باب (ما يُقدَّم فيه المستثنى) : "وذلك قولك: مَا فِيهَا إلَّا أَبَاكَ أحدٌ.

قالَ أبو علي: لو رفعتَ المستثنى إذا قدَّمته لأبدلتَ المستثنى منه من المستثنى ، وهذا عكس ما عليه الحد؛ لأنَّك إنَّما تُبدل المستثنى من المستثنى منه، لا المستثنى منه من المستثنى.

قال: لأنَّ الاستثناءَ إنَّما حدُّه أنْ تَدَاركَهُ بعد ما تنفي فتُبدِلَهُ.

أي تُبدل المستثنى من الذي تنفي عنه الفعل وهو (أحدٌ) من قولك: (ما أتاني أحدٌ).

قال: فلمَّا لَمْ يَكُنْ وجه الكلام هذا – أي أنْ يكونَ مبدلاً منه – حَمَلُوهُ على وجهٍ قد يجوزُ إذا أخَّرتَ المستثنى.

قالَ أبُو علي: قوله: حملوه على وجهٍ قد يجوز إذا أخَّرتَ المستثنى، أي حملوا الاسم المستثنى المقدَّم وهو (زيدٌ) في قولِك: (ما جاءَنِي إلَّا زيداً أحدٌ)، والوجهُ الجائزُ إذا أخَّرت المستثنى وهو (زيدٌ) النصبُ؛ لأنَّهُ إذا أخَّر المستثنى فقيل: (ما جاءَنِي أحدٌ إلَّا زيدٌ) جازَ في (زيد) النصب على الاستثناء، فلمَّا قُدِّمَ المستثنى صارَ الوجه الذي كانَ جائزاً وإنْ لم يَكُنْ بالوجهِ لا يجوز غيره؛ كما أنَّ الحالَ من النكرة لم تكُنْ مستحسنة، فلمَّا قدَّم الصفة التي تكون حالاً على الاسم صار ما كان غير مُستحسن من حالِ النكرة الوجهَ، كراهة أنْ يجعل ما لا يوصف بهِ وصفاً، وهو (رَجُل) وما أشبهه في قولِك: (فيها قائماً رجلٌ)".[1]

(١) التعليقة (٢/ ٦٥، ٦٦).

وحكى سيبويه أنَّ يونسَ يروِي البدل عن بعضِ العرب الـذين يوثـق بهم؛ فقالَ: "وحدَّثنا يونس أنَّ بعضَ العرب الموثوق بهم يقولون: ما لي إلَّـا أبوك أحدٌ، فيجعلون أحداً بدلاً، كما قالُوا: ما مررتُ بِمثلِهِ أحد، فجعلوه بدلاً. وإنْ شئْتَ قلت: ما لي إلَّا أبوك صديقاً، كأنَّك قلت: لي أبوك صديقاً، كما قلت: مَنْ لي إلَّا أبوك صديقاً حين جعلتَه مِثْلَ: ما مررتُ بأحدٍ إلَّا أبيك خيراً منـه. ومثلُه قولُ الشاعر، وهو الكَلْحَبة الثعلبي:

أمرتُكُمُ أَمرِي بِمنقَطَعِ اللِّوَى ولَا أمْرَ لِلمَعْصِيِّ إلَّا مضيَّعَا[1]

كأنَّهُ قالَ: للمَعصيِّ أمرٌ مضيّعَا، كما جازَ فيها رجلٌ قائماً. وهـذا قـولُ الخليل رحمه الله. وقد يكون أيضاً على قولِه: لا أحدَ فيها إلَّا زيداً"[2].

أمَّا المبردُ فلم يذكُرْ في الكلامِ وجهاً آخر، ولا أشارَ في (المقتضب) إلى ما ذهبَ إليهِ يونس، وفي (الكامل) ذهبَ إلى ما ذهبَ إليهِ في (المقتضـب)، لكنَّهُ أشارَ إلى رأي يونس إشارة، وصرَّحَ بأنَّهُ يرغب عنه؛ فقال: "فإذا قدِّمتَ المستثنى بطلَ البدل؛ لأنَّهُ ليس قبله شيءٌ يُبْدَل منهُ، فلم يَكُنْ فيهِ إلَّا وجـهُ الاستثناء، فتقول: ما جاءَنِي إلَّا أباك أحدٌ، وما مررتُ إلَّا أباك بأحدٍ. وكـذلك تُنْشَدُ هذهِ الأشعار، قالَ كعبُ بنُ مالكٍ الأنصاري لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

النَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيْكَ لَيْسَ لَنَا إلَّا السُّيُوْفَ وأَطْرَافَ القَنَا وَزَرُ

(١) من الطويل، نُسِبَ للكلحبة، كما نُسِبَ للأسود بن يعفر، واللوى: مسترق الرمل حيث يلتوي وينقطع ، والبيت موجود في: الكتاب (٣٣٧/٢)، والمقاصد النحوية (٤٤٢/٣)، والخزانـة (٣٨٨/١، ٣٩٢- ٣٨٥/٣).

(٢) كتاب سيبويه (٣٣٧/٢، ٣٣٨).

وقالَ الكميتُ بن زيد:

فَمَا لِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيْعَةٌ وَمَا لِيَ إِلَّا مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ

لا يكون إلَّا هذا، وليونس قول مرغوبٌ عنه، فلذلك لم نَذْكُرْه"[١].

وهذا الذي ذهبَ إليهِ المبرد في موقفِهِ مِمَّا نقله يونس قد أشارَ إليهِ الفارسيُّ؛ فقال: "أبُو العباس لا يُجيز: (ما لي إلَّا أبوكَ أحدٌ)؛ لأنَّ الباب الذي عليه هذا أنْ يكون (أحدٌ) مبدلاً منه، لا بدلاً".[٢]

غير أنَّ الفارسيَّ اكتفى فقط بالإشارةِ إلى رأي المبرد، ولم يُعلِّق عليهِ قبولاً أو رفضاً، وأرى أنَّ في هذا إشارة إلى أنَّ الفارسيَّ لا يرد رأي المبرد، بل يرتضيه، بدليلِ إيراده له، وعدم التعليق عليه، كما يؤكِّد هذا ما ذكرَهُ الفارسيُّ في (المسائل المنثورة) في المسألة الرابعة والستين، فقد ذكرَ المسألة من غيرِ أنْ يُشير فيها إلى رأي يونس، مُكتفياً بما هو محل اتفاق بين سيبويه والمبرد، بل بين العلماء عامة؛ فقال: "إذا قلتَ: (ما أتاني إلَّا أباك أحدٌ) نصبت للاستثناء المتقدِّم[٣]؛ لأنَّ الأب إنَّما يكون بدلاً إذا تقدَّمه (أحدٌ)؛ لأنَّ الأب يكون من الأحدِين، ويجوز ألَّا يكون. فإذا قدَّمت الأب لم يصح أنْ تجعل (أحداً) بدلاً من الأب؛ لأنَّ (أحداً) قد دخل الأب في جملة ما انطوى تحته، فإذا كان كلاماً قليل الفائدة لم يجز".[٤]

---

(١) الكامل (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٢) التعليقة (٢/٦٩).

(٣) أي : نصبت الاسم المتقدِّم.

(٤) المسائل المنثورة (٦١).

كما أنَّ الفارسيَّ قد ذكرَ هذهِ المسألة مرة أخرى، وأشارَ فيها إلى ما حكاهُ سيبويه عن يونس، وعقَّبَ عليهِ بأنَّ الجرمي لا يعرفه، وأطالَ في ردِّ هذا الوجه الذي حكاهُ يونس، والذي ردَّهُ المبرد من قبل؛ فقال في (المسائل المنثورة) في المسألة الثامنة والستين: "قالَ سيبويه: من العرب مَنْ يقول: (ما أتاني إلَّا أبوك أحدٌ)، فيُبدل (أحد) من الأب كما أبدل من (أحد)، وليس ذلك بمعروفٍ عند أبي عمر الجرمي؛ ووجه قبحه أنَّهُ كلام قليل الفائدة؛ لأنَّ البدل إنَّما يقع ليُستفاد بهِ معنى لا يُستفاد بالأول، وقد عُلِمَ أنَّ الأب (أحدٌ)، فإبداله منه شيء لا فائدة فيه.

ووجه ما قالَهُ سيبويه في هذا هو ما قاله شيخُنا أبو علي، وذلك أنَّهُ قال: "لم يُرِد سيبويه بقولِه: (أحدٌ) أنَّهُ الذي يقع للجنس، وإنَّما أرادَ واحداً من مُثُل العدد في قولك: (أحد وعشرون)، فإذا ثبت هذا ثبت أنَّ فيهِ فائدةً.

ووجهٌ آخر: وهو أنَّهُ لو قالَ: ما أتاني إلَّا أبوك كان يحتمل أنْ يكون قد أتاهُ غيره، فإذا قال: (أحد) فكأنَّهُ ذهبَ إلى أنَّهُ أراد (وحده)، وإذا صحَّ أنْ يُتأوَّلَ له هذا التأويل ثبت ما قالَهُ سيبويه".(١)

فهذا الذي أوردهُ الفارسيُّ يَتوافقُ في الغايةِ مع ما ذكرَهُ المبرد، الأمرُ الذي يُشير إلى أنَّ الفارسيَّ في هذهِ المسألة يُوافق ما رآه المبرد، ويرى مذهبه، بل ويرجِّح ما اختارَهُ بالدليلِ والحجة.

وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ العلماءَ على أنَّهُ إذا قُدِّم المستثنى على المستثنى منه نُصِبَ؛ مُوجَبًا كان أو نفيًا، وامتنع جعلُ المستثنى بدلاً؛ لأنَّ التابع لا يتقدَّم على المتبوع وكان الوجهُ نصبُه ، ويجوز الاتباع في

(١) المسائل المنثورة (٦٣، ٦٤).

المسبوق بالنَّفي، وذلك في لغةٍ من لغاتِ العرب، بناءً على ما حكاهُ سيبويه عن يونس، وهو مذهبُ الكوفيِّين، وقد ذهبَ ابنُ عصفور إلى أنَّهُ لا يُقاس على هذهِ اللغة، وقد قاسَ عليها وأجازها الكوفيُّون والبغداديُّون وابنُ مالك.(١)

ومن الشواهدِ الواردة في هذا قولُ حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ(٢)

وأنشدَ الفرَّاءُ:

مُقَزَّعٌ أَطْلَسُ الأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدُهَا نَشَبُ(٣)

ولمَّا عرَضَ ابنُ يعيش لهذهِ المسألة ذكرَ أنَّ هذا هو الوجه الثاني من الوجوه التي لا يكون المستثنى فيها إلَّا منصوباً، وذلك المستثنى إذا تقدَّم على المستثنى منهُ، وإنَّما لزمَ النصب في المستثنى إذا تقدَّم؛ لأنَّهُ قبل تقدُّم المستثنى كانَ فيهِ وجهان: البدل والنصب، فالبدلُ هو الوجهُ المختار،

---

(١) يُنظر: شرح التسهيل لابن مالك (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩)، وشرح الكافية الشافية لابن مالك (٧٠٤/٢، ٧٠٥)، وشرح الرضي (٢/ ١١٨)، وأوضح المسالك (٢/ ٢٣٣- ٢٣٧)، والتصريح (١/ ٥٤٩)، وشرح الأشموني (٢٢٩/١، ٢٣٠).

(٢) من الطويل لحسان بن ثابت، موجود في: ديوانه (٢٤١)، وشرح التسهيل لابن مالك (٢/ ٢٢٩)، وأوضح المسالك (٢٣٥/٢)، والمقاصد النحوية (١١٤/٣)، والتصريح (٥٤٩/١)، والهمع (٢٥٧/٣)، وشرح الأشموني (٢٢٩/١).

(٣) من البسيط لذي الرمة، يصف صائداً، ومقزع: خفيف الشعر، أراد شعره في رأسه قليل متفرِّق كتفرُّق القزع في السماء، والقزع: بقايا الغيم في السماء، وأطلس: أغبر، والضراء: الكلاب الحراص على الصيد، والنشب: المال. والبيت موجود في: ديوان ذي الرمة (٢٤)، وشرح التسهيل لابن مالك (٢٢٩/٢)، وشرح الكافية الشافية لابن مالك (٧٠٥/٢).

والنصبُ جائزٌ على أصلِ الباب، فلمَّا قدَّمته امتنع البدل الذي هو الراجح؛ لأنَّ البدلَ لا يتقدَّم على المبدلِ منهُ، من حيثُ كانَ من التوابع، كالنعت والتوكيد، وليس قبله ما يكون بدلاً منه، فتعيَّن النصب الذي هو المرجوح للضرورة، ومن النَّحويِّين من يُسمِّيه: أحسن القبيحين، ثم نظَّرَ للمسألةِ بمسألةِ تقدُّم الصفة على موصوفِها النكرة، كما ذكرَ سيبويه وغيرُه.(١)

كما قالَ الرضيُّ في شرحِهِ لكلامِ ابن الحاجب في الكافية: "قوله: (أو مقدَّماً على المستثنى منه)، يعني إذا كان بعد (إلَّا) وتقدَّم على المستثنى منه، وجبَ النصب؛ لأنَّهُ إنْ كانَ في الموجَب فقد تقدَّم وجوب النصب، وإنْ كانَ في غيرِ الموجَب فقد بطل البدل؛ لأنَّ البدلَ لا يتقدَّم على المبدلِ منه لأنَّهُ من التوابع، فلم يبقَ إلَّا النصب على الاستثناء؛ على أنَّهُ قد حَكَى يونس أنَّ بعضَ العرب يقول: (ما لي إلَّا أبوك أحد)، فجعل المستثنى منه المؤخَّر بدلاً من المستثنى، كما قيل: (ما مررت بمثلِه أحد)، و(أحد) بدل من (مثله)، ويجوز لك أنْ تقول: (ما لي إلَّا أبوك صديقا)، على أنَّ (أبوك) مبتدأ، و(لي) خبره، و(صديقاً) حال".(٢)

وهذا الذي حكاهُ يونس وأعربَهُ بعضُهم على البدلِ قد سمَّاهُ بعضُ الباحثين: البدل المقلوب(٣).

---

(١) يُنظر: شرح ابن يعيش (٧٩/٢).

(٢) شرح الرضي (١١٨/٢).

(٣) يُنظر: جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، راجعه ونقحه: د. عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية / صيدا- بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م (٣/ ١٣٤).

الجهة الثانية/ قولُنا: (مَنْ لي إلَّا أباك صديق) :

وهذه الجهة عرض لها سيبويه ،وبيّن أنَّهُ يجوز فيها النصب على الاستثناء، ويجوز أيضاً الرفع على البدل؛ فقال: "فإنْ قلت: ما أتاني أحدٌ إلَّا أبوك خيرٌ من زيدٍ، وما مررتُ بأحدٍ إلَّا عمرٌو خيرٍ من زيد، وما مررتُ بأحدٍ إلَّا عمرٍو خيرٍ من زيدٍ، كانَ الرفعُ والجرُّ جائزين، وحسُنَ البدلُ لأنَّك قد شغلت الرافعَ والجارَّ، ثم أبدلتَه من المرفوع والمجرور، ثم وصفتَ بعد ذلك.

وكذلك: مَنْ لي إلَّا أبوك صديقاً؛ لأنَّك أخليت مَن للأب ولم تُفرده لأنْ يعملَ كما يعمل المبتدأ.

وقد قالَ بعضُهم: ما مررتُ بأحدٍ إلَّا زيداً خيرٍ منه، وكذلك: مَنْ لي إلَّا زيداً صديقاً، وما لي أحدٌ إلَّا زيداً صديقٌ؛ كرهوا أنْ يُقدِّموا وفي أنفسِهم شيءٌ من صفتِه إلَّا نصباً، كما كرهوا أنْ يُقدَّم قبل الاسم إلَّا نصباً".(١)

ولمَّا ذكرَ المبرد هذه المسألة فصَّلَ الكلامَ فيها، وأجازَ في المستثنى في هذا المثال ما أجازَهُ سيبويه (النصب على الاستثناء، والبدل)، وذكرَ إعرابَ الكلام، ووضَّح رأيه بأبين مِمَّا وردَ عند سيبويه؛ فقال: "وتقول: مَنْ لي إلَّا أباكَ صديقٌ. إذا أردت أنْ تجعل (صديق) خبراً لـ (مَنْ). كأنَّك قلت: مَنْ صديق لي؟

فإنْ أردت غير هذا الوجه قلت: مَنْ لي إلَّا أبوك صديقاً. جعلت (مَنْ) ابتداء، وقولك أبوك خبره، وجعلت صديقاً حالاً.

---

(١) كتاب سيبويه (٢/ ٣٣٦، ٣٣٧).

وإنْ شئْتَ قلت: مَنْ لي إلَّا أبوك صديق؟ جعلت الأب بدلاً مِن (مَنْ)، فصارَ التقدير: أبوك لي صديق؛ لأنَّ (مَنْ) اسم مستفْهَمٌ عنه، فتقديره: أحد إلَّا أبوك لي صديق، فإذا أبدل طرح أحداً، وجعل أباك بدلاً منه صارَ تقديره: ما لي إلَّا أبوك صديق".(١)

وفي توضيحِ الفارسي لما ذكرَهُ سيبويه هنا قال: "يقول: كرهوا أنْ يُقدَّم الاسم المستثنى وفي أنفسِهم شيء من صفةِ المبدل منه إلَّا نصباً، كما كرهوا أنْ يُقدَّم المستثنى قبل الاسم المستثنى منه إلَّا نصباً؛ لأنَّ الصفة قد تكون مع الموصوف كالاسمِ الواحد في بعضِ المواضع، وذلك إذا لم يُعرف الموصوف إلَّا بالصفة، كقولك: زيدٌ الطويل، إذا لم يتميَّز (زيد) من الزيدين إلَّا بالحِلْيَةِ".(٢)

ومن خلالِ هذا يظهر أنَّ الفارسيَّ لا يرى اختلافاً بين رأي سيبويه ورأي المبرد في هذهِ المسألة، فلم يذكرْ للمبردِ اعتراضاً أو كلاماً يُفارق بهِ ما أوردَهُ سيبويه.

كما أكَّدَ ذلك أيضاً في (المسائل المنثورة) في المسألة الخامسة والستين، حيثُ عرضَ المسألة مفصِّلاً الكلام فيها، من غير أنْ يُشير إلى أنَّ المبرد يرى فيها غير ما يراهُ سيبويه؛ فقال في ذلك وهو يحمل الكلام على غيرِ الوجه الذي أورده المبرد سابقاً: "تقول: (مَنْ لي إلَّا أباك صديقٌ) على ما قدَّمنا. فإنْ قلت: (مَنْ لي إلَّا أبوك صديقاً) جاز ذلك.

(١) المقتضب (٣٩٨/٤).
(٢) التعليقة (٦٨/٢).

ووجهُ تجويزه: أنْ تُقدِّر (مَنْ) تقدير اسمٍ، كأنَّك أردت: (أرجلٌ لي إلَّا أبوك صديقاً)، فتجعل (مَنْ) رفعاً بالابتداء، ويكون (لي) خبرها، وتجعل الأب بدلاً مِن (مَنْ)، وتنصب صديقاً على الحال، والعامل في الحال (مَنْ)؛ لأنَّ فيها معنى الفعل".(١)

ويبدو أنَّ قولَ سيبويه: "لأنَّك أخليت (مَنْ) للأب ولم تُفرده لأنْ يعمل كما يعمل المبتدأ" فهمُه المبرد على غيرِ مراده، مِمَّا جعلَ الأعلم يُشير إلى مخالفةِ المبرد لسيبويه في هذا، من جهةِ أنَّ المبردَ فَهِمَ هذهِ العبارة على غيرِ وجهها فيما أرى.

فاعترضَ الأعلمُ على المبرد فيما ذهبَ إليهِ؛ فقال: "قوله: (مَنْ لي إلَّا أبوك صديقاً) قدَّرهُ المبرد على أنَّ (مَنْ) مبتدأة، و(أبوك) خبره، ومثَّلَهُ بقولِك: ما زيدٌ إلَّا أخوك، وصديقاً: حال.

وقولُ سيبويه: (لأنَّك أخليت (مَنْ) للأب) يدلُّ على خلافِ تقدير المبرد؛ لأنَّ معنى: (أخليت مَنْ للأب) أي: أبدلت الأب منه، فعلى هذا يكون (مَنْ) مبتدأ، و(لي) خبره، و(أبوك) بدلٌ مِنْ (مَنْ)، كأنَّهُ قال: ما لي أحدٌ إلَّا أبوك، وتقدير المبرد لا يصح".(٢)

وواضحٌ أنَّ عبارةَ سيبويه التي أشرتُ إليها هي التي فهمُها المبرد على غيرِ ما أرادَ سيبويه، فاختلف عنه في طريقةِ الإعراب، كما ظهرَ من خلالِ كلام الأعلم، وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ الفارسيَّ في (التعليقة) قد أوردَ

(١) المسائل المنثورة (٦١، ٦٢).
(٢) النكت للأعلم (٢/٢٤٩).

هذه العبارة عن سيبويه، غير أنَّهُ لم يعرضْ لها بالتعليق، ولم يوردْ فيها ما ذكره المبرد وذهبَ إليهِ في إعرابِه.

والذي أراه أنَّ ما تبعه الفارسي من إهمالِ الكلام على الخلافِ بين ما يراه سيبويه، وما يراه المبرد هنا في هذه المسألة هو الأولى، وأنَّ ما ذكره الأعلم من فرق لا يُعد خلافاً كبيراً يستدعي التحقيق والتدقيق، ما دام سيبويه والمبرد قد اتَّفقا هنا على جوازِ الوجهين من البدل والاستثناء، فلا داعي لمثل هذا التفصيل الذي ليس له كبير أثر على الدرس النحوي، وإنَّما رأيت هذا لما يأتي:

– أنَّ هذا الخلاف الذي أشارَ إليه الأعلم لم يورده العلماء من بعده، بل لم يُشر إليهِ ابنُ ولَّاد الذي أخذ على عاتقِه الانتصار لسيبويه مِمَّا قاله المبرد من مخالفاتٍ واعتراضاتٍ عليه.

– أنَّ العلماءَ اللَّاحقين لهذه الحقبة لم يفرقوا بين الوجهتين اللتين ذكرتهما هنا، بل كان كلامهم على تقديم المستثنى على وجهِ العموم، من غيرِ تفريق في المسألتين.

فالأولى ما اختارَهُ الفارسيُّ هنا من تركِ الكلام في تفاصيلِ المسائل التي لا تفيد الدرس النحوي، والاكتفاء بالإشارةِ إلى الحكمِ النحوي وبيانه كما جنح إليهِ المتأخرون من النَّحويِّين، واللهُ تعالى أعلَمُ.

الخاتمة:

نستخلص مما سبق مجموعة من النتائج أبرزها:

- أن الفارسي لا يتناول رأي المبرد إلا كما يتناول رأي غيره، فيقف منه موقفاً مماثلاً لموقفه من رأي غيره، فيعارضه تارة، ويوافقه تارة، ويوجهه تارة، ويستدرك عليه تارة، ويستشهد أو يستأنس به تارة، وغير ذلك مما يراه في المسألة، من غير تعصب لوجهة معينة، أو انحناء بالكلام إلى طريقة تخرج عن حدود ما يتطلبه الدرس العلمي، ومن خلال هذه الدراسة لم أجد الفارسي يخرج عن هذا المنهج.
- أن الفارسي لم يكن يقف من المبرد موقفاً متعصباً أو معارضاً له، وليس له تجاه المبرد موقف شخصي بارز يمكن القول به أو اعتماده في الدراسة، ولكنه فقط إنصاف العلم ومسائله، تلك الوجهة هي التي كانت تستدعي الفارسي أن يكون موافقاً للمبرد، أو معارضاً له، أو مستدركاً عليه، أو مسلماً له برأيه، أو نحو ذلك
- أن الفارسي تارة يعرض آراء المبرد من غير تعليق بالقبول أو الرفض، كما كان كثيراً ما يوضح كلام سيبويه بما ينقله عن المبرد، وفي بعض الأحيان كان ينقل كلام المبرد في إطار عرضه للقواعد، ويجعل كلامه وما ذكره في المسألة كأنه القاعدة، فيسوق رأي المبرد مسلماً بما يراه، ومعتمداً على ما أصّله في الباب، وتارة رأيته يعرض أراء المبرد على سبيل الاستشهاد به لما يراه ويذهب إليه، وللتأكيد بقوله على ما يقول به في المسألة.
- كان الفارسي يسوق كلام المبرد معترضاً عليه ومصححاً ما يراه فيه من خطأ، معللاً لما يقول، وأحياناً كان يسوق قولاً للمبرد، ثم يعقب عليه بما

يوجهه جهة الصواب، ويرفع عنه اللبس أن يُفهم على غير مراده، ليؤكد بهذا على اهتمامه بآراء المبرد وعنايته بتوضيحها ورفع اللبس عنها.

- كان الفارسي في عرضه لآراء المبرد لا يكتفي بعرض رأيه، بل كان ينص أحيانا على كتب المبرد التي نقل عنها رأيه، إشارة منه إلى درايته بكتب المبرد، وفي بعض الأحيان كان ينسب الكلام للمبرد لا عن طريق اليقين والوثوق بذلك، ولكن على سبيل الظن.
- رأيت الفارسي في بعض الأحيان يعتمد في عرض رأي المبرد على غيره، فينقل ما قاله المبرد لا عن المبرد نفسه، ولكن عن طريق ابن السراج مثلاً، أو عن طريق أبي عثمان، أو عن أبي إسحاق الزجاج، أو غيرهم.
- كما يُلاحظ أن الفارسي في طريقته لعرضه آراء المبرد لم يذكر اسم المبرد بطريقة واحدة، بل بطرق مختلفة، لابد من إدراكها لمعرفة طريقة الرجل في عرضه لرأي المبرد، فتارة يذكره بكنيته: أبي العباس، وتارة يذكره باسمه: محمد بن يزيد، وتارة ثالثة يذكره بلقبه: المبرد، وفي بعض الأحيان كان يشير إلى رأي المبرد من غير أن يُصرّح باسمه أو لقبه أو كنيته، فيقول: وحكى بعضهم، ومن زعم كذا.
- أن أكثر هذه المسائل كانت من كتاب "الغلط" للمبرد، كما أشارت الدراسة إلى أن بعض هذه المسائل التي اعترض فيها الفارسي على المبرد لم يرد فيها رأي المبرد المشار إليه في كتبه التي بين أيدينا، مثل "الكامل، والمقتضب"، بل وبعض هذا الذي نسبه إلى المبرد يخالف ما هو ثابت في كتب المبرد التي بين أيدينا، كما ظهر أن الفارسي قد انفرد وحده دون غيره بالنقل عن المبرد في بعض المسائل.

قائمة المصادر والمراجع:

- (الأصوات اللغوية عند المبرد في كتابه المقتضب)، د. حازم طه: مجلة آداب الرافدين، بالمغرب، المجلد (٢٣).
- أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية، لمحمد عبد الخالق عضيمة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٤٩م
- أبو علي الفارسي: حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية، وآثاره في القراءات والنحو، د: عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، الطبعة الثالثة.
- أثر النحاة في البحث البلاغي، لعبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١. د ت
- البلاغة، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، حققها وقدم لها وصنع فهارسها: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- البيان العربي، لبدوي طبانة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م. ٧٩، ٨٢).
- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى أواخر القرن الرابع الهجري، لمحمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط٣، د. ت (٣٧٦، ٣٧٧).
- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط. د، د ت
- التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، طبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ط١، ١٩٨١م. (٤٢٤).

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، الأزهري، الهروي، المتوفى (٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، راجعه ونقحه: د. عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية / صيدا- بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
- خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البَغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي/ القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م (٣/٣٦٣).
- شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البَغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث/ دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الكامل فى اللغة والأدب، لأبى العباس محمد بن يزيد بن المبرد تحقيق محمد أحمد الدالى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- مجمع البيان لعلوم القرآن، فضل بن حسن الطبرسي، تحقيق محلاتي وطباطبائي، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- المدارس النحوية، لشوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط١،. د ت.
- المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة للدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق/ بيروت ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (٨١).

- المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي، تقديم وتحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم/ دمشق، ودار المنارة/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م (١٥٩).
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، طبعة دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط٣، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م). المجلد الأول
- المقدمة لابن خلون، دار الكتاب اللبناني ومكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط. د، د. ت (١٩٧٠).
- من طرائف الكتب، ليوسف بن محمد العتيق، بحث منشور في صحيفة الجزيرة السعودية، الطبعة الأولى، العدد (١٠٧١٥)، بتاريخ: الأحد (٢٤) ربيع الثاني لسنة (١٤٢٢هـ).

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١١٩٩
٢-	Abstract	١٢٠١
٣-	المُقَدِّمَةُ	١٢٠٣
٤-	التمهيد	١٢١٠
٥-	المطلب الأول: التعريف بأبي العباس المبرد	١٢١٠
٦-	المطلب الثاني: التعريف بأبي عليّ الفارسيّ	١٢٢٣
٧-	المبحث الأول: من مسائل ورود الحال معرفة	١٢٢٩
٨-	المبحث الثاني: إعراب المستثنى منه المتأخر	١٢٣٨
٩-	الخاتمة:	١٢٥٠
١٠-	قائمة المصادر والمراجع:	١٢٥٢
١١-	فهرس الموضوعات	١٢٥٥